

“تاريخ غيفوند”، المؤرخ الأرمني

من القرن 8 ميلادي

الموافق سنة 81 - 182 هجري

ترجمه عن الأرمنية: الدكتور ألكسندر كشيبيان

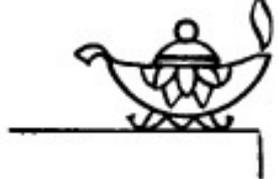
.....

ՀԱՅ
ՄԱՏԵ
ՆԱԳԻՐ
ՆԵՐ

ՂԵՎՈՆԴ

ՊԱՏՄՈՒԹՅՈՒՆ

Թարգմանությունը, ներածությունը
և ծանոթագրությունները
Արամ Տեր-Ղեվոնդյանի



«ՍՈՎԵՏԱԿԱՆ ԳՐԱՆ» ՀՐԱՏԱՐԱԿԶՈՒԹՅՈՒՆ, ԵՐԵՎԱՆ—1982

“تاريخ غيفوند”، المؤرخ الأرمني

من القرن 8 ميلادي

الموافق سنة 81 - 182 هجري

ترجمه عن الأرمنية: الدكتور ألكسندر كشيديان

.....

تعديل وتحميل ونشر

الاستاذ: شمس المحسن (ابو شمس المحسن)

صاحب قناة الحقيقة على اليوتيوب

ومؤسس

منتديات استفق

في تحفيز الازهان لنقد الاديان

“تاريخ غيفوند”، المؤرخ الأرمني من القرن 8 ميلادي، شاهد عيان على الفتوحات العربية الأولى، ومدون أول وأقدم حوار إسلامي - مسيحي في التاريخ منذ 1300 سنة بين الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز والإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الإزوري.



هذا "التاريخ"

هو كتاب صغير الحجم لكنه قيم بشكل استثنائي لأهم الأسباب التالية:
(أ) لاحتوائه على معلومات تاريخية موثقة لم تُذكر عند المؤرخين العرب حول الفتوحات الأولية للقوات العربية المظفرة في منطقة المشرق العربي والهضبة الأرمنية فهي تسد بالتالي فجوة مرموقة في جدار التاريخ العربي القديم.

(ب) كان المؤرخ الأرمني غيفوندا شاهد عيان (كالمؤرخ الأرمني الآخر سيبيوس من القرن 7 م المعاصر للرسول محمد - ص - والحلفاء الراشدين وكتب عنهم) على الفتوحات العربية الأولية واستخلص بعض معلوماته مباشرة من القادة الأرمن والبيزنطيين حتى من القادة العرب.

(ج) سافر إلى العاصمة البيزنطية القسطنطينية ودخل في الأرشفة الإمبراطوري ونقل عن اليونانية هذا الحوار الإسلامي - المسيحي الأول الذي جرى بين الخليفة الأموي التقي عمر بن عبد العزيز والإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الإزوري في عام 718م أي قبل حوالي 1,300 عاماً عبر المراسلات وكان الحوار يجري في أيامنا هذه. هناك دراسات حول صحة هذه الرسائل قام بها علماء أرمن وغربيون عديدون يجدها القارئ بين دفتي الكتاب.

أنصح القارئ العربي:

- قراءة الكتاب بروية وعقل منفتح وصدر رحب لأنه سيجد في النص تعبيرات يمكن أن تخدش سمعه لذلك يجب تخطيها وعدم الالتفات إليها أكثر مما تستحق لأنه مضى عليها 13 قرناً ودُفعت الجدالات والمهازلات العقائدية-الدينية بين أصحاب الديانات المختلفة جانباً مع تقدم البشرية وبدأت تسود القيم العالمية في وحدة الإنسانية وأضحى الحروب الدينية السيئة السمعة صفحات تمت إلى الماضي.
- لمزيد من المعرفة والدقة، من المستحسن التعرف على ما جاء في قسم "الشروحات" في نهاية الكتاب بالتوازي مع قراءة النص.

المتزجم

المؤرخ غيفوند وعصره و"تاريخه"

بقلم المستشرق-المستعرب، الدكتور البروفيسور آرام تير غيفونديان، أرمينيا.

ولد المؤرخ غيفوند وتوفي في القرن 8 م. لا يُعرف مكان ولادته إلا أن المعلومات تدعو للاعتقاد أنه أمضى طفولته في مقاطعة كوغت في أرمينيا وحصل على تعليمه الأساسي في كاثوليكوسية مدينة دفين (ديبل حسب ما تلفظه العرب-المترجم). رغم تعليمه الديني، كان غيفوند شخصاً وثيق الصلة بالحياة، كما يؤكد هو شخصياً، وكان شاهد عيان على أحداث عديدة شتى وسمع عن بعضها حتى من أفواه القادة الأعداء. وكما يظهر من خلال بحثه، قطن في مدينة ديبل مدة طويلة وأنهى كتابه في عام 790م تقريباً. زار غيفوند مدينة القسطنطينية وتعرّف على الرسائل التي وضعها في دراسته. ويميل المؤرخ بفكره وحبّه إلى عائلة الأمراء البقراتونيين الأرمن وخاصة أنه حصل على موافقة شابهه بقراتوني بن قائد الجيش الأرمني سمبات بقراتوني ودعمه أثناء أسفاره لتحقيق "التاريخ".

درس مستشرقون وباحثون أرمن وأجانب عديدون مخطوط غيفوند مثل:

-ك. ف. شاهنازاريان، اجتياحات العرب لأرمينيا حسب الراهب الأرمني غيفوند، باريس، 1857، ص. 10-18، باللغة الأرمنية.

К. Патканян, История халифов вардапета –

.Гевонда-писателя VIII в. СПб, 1862, стр. III-XI

H. Thopdschian, Die Inneren Zustände von Armenien unter Asot I, –

.Halle-1904, S-4

.M. Ghazarian, Armenien unter der arabischen Herrschaft, Marburg-1903 –

.J. Laurent, L'Armenie entre Byzance et l'Islam, Paris-1919, p-84 –

A. Jeffery, Ghevond's text of the correspondance between Omar II and –
.Leo III, Harvard Theological Review, 37 (1944), p. 269-332

عاش غيفوند وعمل في حقبة غنية بأحداثها التاريخية عندما جرى انقلاب كبير في حياة بلدان المشرق بسبب ظهور دين ودولة فاتحة جديدة وتحديداً الإسلام والخلافة العربية.

توحدت القبائل العربية الرحل في شبه الجزيرة العربية تحت راية الرسول محمد الدينية وخرجت للجهاد المقدس ضد الدول المجاورة. اجتاحت هذه الأقوام الصحراوية سوريا وبلاد ما بين النهرين الخصبتين في ظروف مواتية وحقت أهدافها دون صعوبة تذكر بسبب ضعف فارس وبيزنطة اللتين استهلكتا قواهما في حروب طاحنة طويلة ضد بعضهما.

أضحت السنوات العشر لخلافة عمر 634-644م مرحلة انتصارات وفتح العرب تباعاً: فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين ومصر وقسم من إيران. سيطر العرب في عهد الخليفة التالي عثمان 644-656م على جميع مقاطعات إيران كذلك أرمينيا وقتياً وانتقلوا من مصر إلى ليبيا ثم إلى الشمال الإفريقي. أبطأ الصراع الناشب بين الخليفة علي 656-661م وحاكم سوريا معاوية وتيرة الفتوحات العربية، إلا أنها استمرت بعد صعود معاوية على عرش الخلافة فجرت صدامات جدية مع بيزنطة. وكانت الجيوش العربية تطرق أبواب العاصمة القسطنطينية في عام 669م من جهة خليدونيا. ورغم حدوث انشقاقات في الخلافة الأموية بعد وفاة معاوية، إلا أن الخليفة عبد الملك 685-705م عزز أوضاع الدولة بشكل نهائي. وبعد انتصاراته على بيزنطة، احتل أرمينيا والدول المجاورة لها.

كان حكم الخلفاء، الذي امتد لقرون طويلة، قاسياً في بعض الأحيان لدرجة ظهور بعض الملاحم البطولية عند شعوب تحت الحكم العربي كملحمة "أحفاد صاصون" عند الأرمن و"ديكينيس أكريداس" عند البيزنطيين و"أغنية رولاند" عند الفرنسيين ونهاية "أغنية السيد" الإسبانية.

عندما قام العرب باجتياحاتهم الأولى على أرمينيا، كانت البلاد مقسمة بين الإمبراطورية البيزنطية وإيران الساسانية. وبناء على اتفاقية عام 629م، كان بطريق الأرمن يحكم القسم الغربي من أرمينيا التاريخية ومركزه مدينة ثيودوسيوبوليس (كارين عند الأرمن وقليلقلا عند العرب-المترجم)، ومرزبان أرمينيا في القسم الشرقي ومركزه مدينة دفين (ديبل حسب لفظ المؤرخين العرب-المترجم).

حطمت الجيوش العربية المظفرة إيران الساسانية وبيزنطة فزالت الهيمنة الإيرانية على أرمينيا الشرقية وضعفت السيادة البيزنطية على القسم الغربي وتوحد شطرا أرمينيا في عام 639م بزعامة أمير الأرمن ثيودوروس رشتوني. وبسبب اجتياحات القوات العربية المستمرة وسياسة بيزنطة الماكرة، عقد ثيودور معاهدة مع الخلافة في عام 652م وتحولت أرمينيا إلى إمارة محايدة بين القوتين العظميين. رغم استمرار الهجمات على أرمينيا من قبل الخلافة وبيزنطة، أعاد الخليفة معاوية التأكيد على المعاهدة في عام 661م وتبوأ كريكور ماميكونيان منصب أمير البلاد لمدة 20 سنة فازدهرت أرمينيا خلالها وتطورت. وكانت البلاد في حال ازدهار متسارع في القرن 7 م في المجالات السياسية والإقتصادية والثقافية، إلا أن القوات العربية المهاجمة أبطأت هذه الوتيرة كثيراً فأكره الأمراء الأرمن، بقيادة سمبات بقراتوني، على الالتحام معها في عام 701م في موقع فارداناكرت وتعرضت القوات العربية إلى هزيمة ثقيلة وقتل أثناءها الحاكم العربي.

رغم إخضاع ثورة الأمراء الأرمن ضد الحكم العربي، شعر بلاط دمشق بقوة المقاومة فتهققر عن موقفه. دعا حاكم أرمينيا الجديد عبد العزيز إلى عودة الأمراء الأرمن إلى مقاطعاتهم واعترف بوضعيتهم السابقة فهدأت أحوال أرمينيا وتأقلم الأرمن مع السيادة العربية واستمروا في حياتهم اليومية ودفَعوا الجزية والخراج واشتركت قوات الفرسان الأرمينية، التي كان عدد عناصرها 15,000 فارساً، في الحروب التي خاضتها الخلافة وخاصة ضد خطر الخزر الداهم في الشمال. وشكل العرب "ولاية أرمينيا" وعاصمتها مدينة ديبيل التي تضم أرمينيا التاريخية وشرقي جيورجيا وآران وشيروان ودريند. وكانت المدينة تحوي داراً لضرب النقود العربية: الدراهم الفضية والفلوس النحاسية بالكتابات العربية والآيات القرآنية وأسماء الخلفاء وولاية العهد وحكام أرمينيا من العرب والتاريخ الهجري بكتابة "ضرب بدييل" و"ضرب بأرمينيا".

كان الأمراء الأرمن البقراتونيون يحتفظون بمنصب أمير أرمينيا وراثياً بين القرنين 5-7م فبدأ الصراع على السلطة بين أفراد العائلة الواحدة. وفي هذا الجو بالذات، انفجرت ثورة أرمينية ضد الخلافة الأموية بين الأعوام 747-750م وامتد لهيبتها إلى جميع أصقاع أرمينيا إلا أنها انتهت إلى الفشل بسبب الانقسامات بين الأمراء الأرمن وسخط الشعب ضدهم.

سءت أحوال أرمينيا جداً تحت الحكم العباسي على وجه الخصوص بسبب استبداد الخلفاء وفرض ضرائب ثقيلة جداً لا يمكن تحملها فتنهقرت أحوال السكان كثيراً وخاصة أن الخليفة أبا العباس لم يزد مبالغ الضرائب فحسب، بل طلب جبايتها سلفاً وبالعملة الفضية حصراً. اجتاحت قوات العباسيين منطقة باسفرجان في أرمينيا فلم يتحمل أمراؤها القتال ضدها بسبب قلة عدد القوات الأرمينية فقتلت القوات العربية أمير البلاد ساهاك بقراتوني واستولت على ثروات البلاط.

يصف المؤرخ غيفوند هذه الأحداث المأساوية وتعذيب السكان من قبل الجباة العباسيين. ورغم يقين الأمراء الأرمين والشعب أن الخلافة تعيش فترة الذروة في أسها، فضل الجميع الاستشهاد كأبطال عوضاً عن الموت فاقد الكرامة وقام الجميع ضد جيش عباسي قوامه 30,000 محارب بقيادة عمر بن إسماعيل ضد 5,000 محارب أرميني في معركة أردزني فسقط 3,000 من المحاربين الأرمين على الساحة بينهم القائدان موشيع ماميكونيان وسمبات بقراتوني وغيرها.

من أجل إخضاع الأرمين وتقوية القتال ضد بيزنطة، جلب الخليفة هارون الرشيد بعض القبائل العربية المهاجرة وأقام لها مستوطنات على أراضي الأمراء الأرمين المصادرة الذين تم قتلهم من قبل القوات العباسية. لقد وصلت سياسة الخلافة الاستيطانية والضرائب التي فرضها الخليفة هارون الرشيد إلى درجة لا يمكن تحملها أو تصورها. فبينما كانت أرمينيا تدفع مبلغ 4,000,000 درهماً فصيلاً سنوياً إلى خزينة الخلافة سابقاً، زاد هارون الرشيد المبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف ووصل إلى 13,000,000 درهم فضي فاضطر السكان الأرمين على الهجرة إلى بيزنطة وكانت لها عواقب كارثية جداً على أرمينيا فتغيرت ديموغرافية عائلات الأمراء الأرمين وخريطة مقاطعاتهم وزالت عائلات مرموقة عن الساحة كالماميكونيين والكامساراكانيين والرشتونيين وغيرهم الذين كانت لهم أدوار ريادية بين القرنين 5-7م. تنفست أرمينيا الصعداء بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد وقام صراع على السلطة بين ولديه الأمين والمأمون وظهرت عائلات الأمراء الأرمين على مسرح أرمينيا السياسي ثانية كالبقراتونيين. أعاد الأمراء البقراتونيون تحرير بعض أراضي أرمينيا من الخلافة العباسية وأضحوا العائلة الأقوى بين عائلات الأمراء الأرمين. وكان آشوت بقراتوني يقوم بمهام أمير الأرمين في عام 790م تقريباً واعترف الخليفة بسيادته على أرمينيا في عام 804م وضغط على الأمير العربي الجحاف الذي كان يتطلع إلى حكم أرمينيا. وكان عهد باكرات بن الأمير آشوت بقراتوني باهراً لأنه كان نائب الحاكم العربي وكان أمير "ولاية أرمينيا" العربية.

وقد ظهر الأمراء الأردزرونيون والسيونيون الأرمن بدورهم في هذا الوقت على مسرح أرمينيا السياسي فتمركزوا في مقاطعات أرمينيا التاريخية في باسفرجان وسيونيك وأرتساخ (قراباغ-المترجم).
كان من الصعب على العباسيين التأقلم مع مثل هذه الحال، فأرسل الخليفة المتوكل أبا سعيد حاكماً لأرمينيا في عام 850م بمهمة خاصة. إلا أن الأرمن طلبوا منه العودة من حيث أتى بأمر أمير البلاد بقرات بقراتوني. لكن ابنه يوسف، الذي أرسل إلى أرمينيا في العام التالي، تمكن من القبض على أمير الأمراء غدرأ فثار الثوار الأرمن في منطقة خوت بقيادة هوفنان واجتاحوا مدينة موش وقتل أحد الثوار الحاكم العباسي المختبئ في الكنيسة.

كانت مصيبة الحكم العباسي الكبيرة الأخرى اجتياح بوغا لأرمينيا على رأس جيوش جرارة وأضحى الجبليون الصواصنة أول الضحايا. رغم تخريباته العديدة في أرمينيا، إلا أن هذا القائد العباسي فشل في إخضاع مقاطعة قراباغ الأرمينية لأن الأمير يسايي الأرمني صد هجماته. وعمت الانتفاضة ضد الحكم العباسي في جميع أنحاء أرمينيا وانعكس كفاح صاصون وباسفرجان وقراباغ في الملحمة البطولية الأرمينية "أحفاد صاصون".

وصلت الثورة الأرمينية ضد الحكم العباسي إلى نهايتها المنطقية بعد قتل الخليفة المتوكل في عام 861م وتحرير أرمينيا وإعادة إقامة دولة الأرمن المستقلة باسم مملكة البقراتونيين.
وصلنا مخطوط غيفوند كاملاً خلا العنوان أي الغلاف لذلك، هناك جدال حول عنوان الكتاب فقط. مقدمة تاريخ غيفوند مقتضبة وخاصة حول السنوات التي تحدث عنها المؤرخ الأرمني سيبوس الذي جاء قبله. ورغم ذلك، علينا التأكيد على أنه يكمل معلوماته وبذلك أضحت المعلومات حول الاجتياحات العربية الأولى أكثر دقة وتفصيلاً.

يتحدث غيفوند عن الحملة العربية الأولى على أرمينيا في عام 640م عبر ممر جورا ويسرد بشكل مفصل عن الحملة المنطلقة من آذربيجان في عام 642-643م معتبراً إياها الحملة العربية الأولى. وكان أمير الأرمن ثيودور رشتوني يتطلع إلى تنظيم دفاع ضد العدو، إلا أن القائد البيزنطي بروكوبوس حال دون ذلك وضاعت الفرصة لدفع العدو إلى الخلف.

يذكر غيفوند أن الحملة العسكرية العربية الثالثة جرت بعد 10 سنوات في عام 650م عبر ممر جورا وحاصر العرب قلعة أردزاب في مقاطعة كوغوفيت وكانوا على وشك احتلالها عندما وصل الأمير ثيودور رشتوني فحطم هذا الجيش وطرد الباقين خارج حدود أرمينيا.

يسرد غيفوند تاريخ الأمويين بعد عام 661م بشكل مسهب لأن "تاريخ المؤرخ الأرمني سيبيوس يقف عند هذه النقطة.

انطلاقاً من الأوضاع المستجدة، كان الخليفة الأموي معاوية يتطلع إلى الدفاع عن مؤخرته في حروبه ضد بيزنطة بالتأكد على المعاهدة التي وقعها مع أمير الأرمن ثيودور رشتوني في عام 652م (تحدث عنها وعن بنودها مفصلاً المؤرخ سيبيوس فقط) والاعتراف بكريكور ماميكونيان أميراً لأرمينيا. لكن، قُتل هذا الأخير في السنة الأولى من حكمه أثناء هجوم شنه الخزر فخلفه آشوت بقراتوني فتتالت هجمات البيزنطيين والعرب على أرمينيا أثناء توليه مقاليد أرمينيا.

معلومات غيفوند حول احتلال العرب لأرمينيا ذات أهمية استثنائية أكد عليها المؤرخ البيزنطي ثيوفانس والمؤرخان العربيان البلاذري وابن الأثير. يصف غيفوند مفصلاً اجتياح القائد العربي محمد بن مروان وحروبه الطويلة في أرمينيا والمقاطعات المجاورة. ويسرد أيضاً ثورة عام 703م الأرمنية ضد الخلافة كشاهد عيان بدقة تامة كذلك الحروب العربية-البيزنطية.

كان الصراع العربي-البيزنطي الطويل يجري في شرقي آسيا الصغرى وكانت للعرب منطقة حدودية خاصة تدعى "إقليم الثغور" الذي يتألف من قسمين: الثغور الشامية، ومركزها مدينة دارصون، وثغور الجزيرة أو ما بين النهرين ومركزها مدينة ملاطيا. وكانت الأولى تحوي كيليكيا والثانية "أرمينيا الصغرى" وبعض مقاطعات "أرمينيا العليا" و"أرمينيا الرابعة" (دزوبك).

يسرد غيفوند عن صراع القوتين العظميين في آسيا الصغرى مضيفاً بعض التفاصيل على أقوال المؤرخين العرب ويقدم معلومات مسهبة أيضاً حول الحروب التي خاضها الطرفان في عهد الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الإزاورى في القرن 8 م. كانت حروب العرب ضد الخزر من اهتمامات المؤرخ غيفوند الخاصة. وعند وصفه للحروب التي جرت حول منطقة دفاع الخلافة في دربند (باب الأبواب- المترجم)، يقدم تفاصيل غير موجودة عند المؤرخين العرب وتكمل بالتالي معلومات ياقوت والطبري وابن الأثير وبذلك يقدم مصدراً هاماً عند دراسة الحروب العربية-الخزرية وخاصة أن جيش الفرسان الأرمن اشترك فيها مع الجيش العربي في عهد البطريقين آشوت بقراتوني وتاجات أندزيفاتسي.

أولى المعلومات الحيوية التي قدمها المؤرخ غيفوند كشاهد عيان هي ثورة الأرمن ضد الحكم العربي في الأعوام 747-750م مبيّناً فيها موقفه السياسي بجلاء دون إخفاء ميله إلى سياسة البقراتونيين الحذرة وبيبرها ولا يوافق على سياسة الأميرين الأرمنيين كريكور وموشيغ ماميكونيان الجسورة جداً. حاول آشوت بقراتوني إقناع الأمراء الأرمن بعدم اللجوء إلى الثورة لكن سدىً فانتهت حياته بشكل مأساوي.

يظهر موقف المؤرخ هذا أثناء وصفه لثورة الأرمن ضد الخلافة في عام 774-775م وكان حكم العباسيين المستبد قد أوصل البلاد إلى حافة الهاوية وكان الجباة يتنقلون من مقاطعة إلى أخرى في أرمينيا ويسرقون السكان فاشتعلت الثورة بقيادة موشيغ ماميكونيان. ورغم موالة المؤرخ غيفوند إلى عائلة البقرادونيين، الذين كانوا يتصفون بسياساتهم الحذرة العقلانية، إلا أنه وقف بحماس كبير إلى جانب الثوار وتتصف صفحات سرده بشعور الرهافة والحماس الاستثنائيين.

يصف غيفوند معركة الأرمن الأخيرة ضد القوات العربية المؤلفة من 30,000 عسكري في فجر 25 نيسان عام 775م بحماس كبير. عندما تصادم الجيشان، سدد الجيش الأرمني ضربات قوية إلى القوات المعادية التي هربت من ساحة المعركة. إلا أن الجيش العربي، الذي وصلته قوات إضافية، جمع شتاته وعاد إلى الساحة. وأمام هذا العدد الكبير من المحاربين العرب، قرر الجنود الأرمن الاستشهاد بسبب

قلة عددهم مشجعين بعضهم: “لنمت بشجاعة من أجل بلادنا وأمتنا بحيث لا ترى أعيننا تنجيس الأعداء لأرضنا ومعابدنا ولتتوجه سيوفهم ضدنا أولاً وليجري ما يجري بعد ذلك”.

يصف المؤرخ غيفوند الأحداث التي جرت في أرمينيا في السنوات 15 لاحتلال العرب بصورة قائمة بسبب ظلم قوات الخلافة وعملياتها في السلب والنهب وإكراه الأخوين الأميرين الأرمينيين ساهاك وهامازاسب أردزروني على الارتداد عن دين الآباء ورفضها وسرقة آنية الكنائس الأرمينية الثمينة. غيفوند هو أول مؤرخ أرميني استخدم التقويم الأرميني الخاص وكان المؤرخون الأرمن قبله يستخدمون التاريخ انطلاقاً من سنوات حكم الملوك الأرمن والأجانب بدءاً من القرن 5 م بينما انطلق غيفوند من سنوات حكم أباطرة بيزنطة والخلفاء العرب.

كان المؤرخ غيفوند قديراً وينسب كل فعل أو كارثة حسب تقوى الناس وضلالهم لكونه رجل دين . لذلك، يعتبر تعاسات الناس وفشلهم جزاء يوفون بدله وجميع النجاحات مكافأة لتقواهم. مع ذلك، غيفوند مؤرخ جدي يحتل موقعا مرموقا في التاريخ الأرميني وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار عصره الذي كان يتميز بالاستبداد السياسي والانحطاط الفكري والثقافي. ورغم ذلك، قدم لنا الكثير بما يخص هذا العصر.

يُحفظ بعض أقسام مخطوط “التاريخ” للمؤرخ غيفوند في دار المخطوطات في يريفان تحت رقم 1902 (يعود إلى القرن 13م) و1889 و5501 و3070 و4584 (تعود إلى القرن 17). وهناك بعض النسخ أيضاً في المكتبة الوطنية في باريس وفي البندقية في مكتبة الآباء المختارين الأرمن وهي منسوخة عن المخطوط الأصلي الذي لم يُكتشف حتى يومنا.

انتهت المقدمة

الفصل الأول

لنتحدث قبل كل شيء عن هؤلاء الذين يُسمّون بأمير المؤمنين (2). بعد أن احتفظ بالحكم لمدة 20 سنة، توفي محمد (3) وخلفه أبو بكر (4) وعمر (5) وعثمان (6) في السنة 11 من حكم ملك الهوروم (7) هرقل (8)، التقي المقبول من الله، وحكموا 36 سنة. وبينما كان هرقل المتوّج من قبل الله حياً يرزق، لم يكن يوسعهم اجتياح إسرائيل لأن أبناء بسالته عمت وسببت لهم الرعب. وكان هرقل يسيطر على إسرائيل وآشور (9) حتى نهاية حياته. وعندما خلف الابن والده هرقل، أيقظ الرب قلوب الناس الأشرار كي يثاروا من أبناء أمتنا المسيحية لأنهم ارتكبوا إثماً أمامه. فباشروا بجمع الجنود وتشكيل جيش ضد سيادة قسطنطين لمهاجمة إسرائيل وسوريا فقد كانوا مدعومين بوصية مشرّعهم (10). أوصى زارعو الزوّان والفتن: "قوموا ضد العالم كله وسيطروا عليهم لأن خصوبة الأرض ممنوحة لنا كي نتمتع بها وكلوا من لحم المنتخبين واشربوا من دماء الأقياء". وكان اليهود (11) يقومون بمعاضدتهم وقيادتهم واتجهوا إلى معسكر مديّم (12) وقالوا لهم: "وعد الله إبراهيم بإخضاع سكان الأرض له، أما نحن، فإننا وريثو جدنا وأولاده. ضجر منا الخالق بسبب مسلكنا الشرير وأزال صولجاننا الملكي وتركنا في حال من العبودية. وبناء عليه، وبما أنكم أولاد إبراهيم أيضاً، قوموا معنا واعتقونا من خدمة ملك الروم (13) لتقيم حكماً سوية".

عندما علموا بذلك، تشجعوا وهجموا على إسرائيل. سمع ملك الروم بذلك وكتب إلى قائد إسرائيل: "علمت أن الساراكينوسيين (14) تحولوا إلى الهجوم على إسرائيل وآشور. إذاً، إجمع جيشك وقم بمقاومتهم وكُنْ عقبة كي لا يحتاحوا بلادنا ويأتوا بالسيف والمجازر إليها. لذلك، إجمع جيشك وقم بتسليحه". أما هو، وبعد حصوله على الأمر الإمبراطوري، كتب إلى جميع القادة تحت إمرته كي يأتوا إليه أينما كانوا وشكلوا جيشاً كبيراً على وجه السرعة وتقدموا لمواجهة اللصوص (15) الذين جمعوا جيشاً لمواجهةهم. التقى الجانبان قرب حدود بلاد العرب (16) ورأوا جيش مديّم والجمال والخيول كالجراد التي لا تُحصى. أظهرت جيوش الروم قلة خبرة لعدم حماية مؤخرتها وترك جنودها خيولهم في المعسكر وتسلاحوا وساروا نحوهم لمحاربتهم. وبسبب قيظ الشمس ووعورة المكان الصخرية-الرملية، هاجموا العدو وهم منهوكو القوى بسبب ثقل الأسلحة التي يحملونها.

أما هؤلاء، فقد كانوا قد ارتاحوا وامتطوا حيواناتهم وهاجموا جيش الروم مسددين له ضربات عديدة جداً وفرّ الباقون وقاموا بملاحقتهم حتى معسكرهم وقتلوا معظمهم بشكل عام. أما الناجون، فقد امتطوا خيولهم وهربوا إلى بلادهم.

حمل الإسماعيليون كنوز الروم كغنائم وسلبوا المقتولين بالسيف وقتلوا عائدين إلى بلادهم مبهجين. بعد ذلك، استولوا على إسرائيل وبلاد آشور وفرضوا عليها الجزية كذلك على كنائس مدينة القدس المقدسة ومنذئذ توقفت إسرائيل وسوريا عن دفع الجزية لملك الروم لأن جيش الروم لم يفلح في مقاومة إسماعيل.

الفصل الثاني

تجبر هؤلاء بعد بضع سنوات وجمعوا جيوشاً جرارة وجاءوا وهاجموا ملك الفرس الذي كان يدعى هازكرت بن خسروف. جمع هازكرت بدوره جيشه لمحاربتهم إلا أنه لم يفلح في المقاومة فأبىد بالسيف وقتل الملك أثناء المعركة (17). بعد ذلك، دُمرت مملكة الفرس وزالت وكانت قد استمرت مدة 481 سنة (18) وقام الإسماعيليون بنهب البلاد وكنوز البلاط واصطحبوا معهم إلى بلادهم كغنائم.

افترق قسم كبير من الجيش واجتاح بلاد الأرمن عبر فارس واستولى على مقاطعات الماريين (19) ومقاطعتي كوغن وناحية نخجوان وقاموا بقتل معظم الرجال بالسيف وأسروا آخرين مع نسائهم وأولادهم وعبروا نهر يراسخ عبر حوض جوغا (20). انقسم هذا الجيش بدوره إلى قسمين: عاد جنود القسم الأول إلى بلادهم مصطحبين الأسرى، واجتاح الثاني مقاطعة أرتاز وهاجم قائد الروم المدعو بروكوب. وكان هذا قد ركز جيشه في ناحية كوغوفيت على حدود بازوتسور (وادي الصقور بالأرمنية-المترجم) وماردوتسايك. والأمير ثيودوروس (21)، الذي كان من عائلة الرشتونيين، علم بالحدث فنّب بروكوب أن جيش إسماعيل (22) يتجه نحونا لمحاربتنا (23). أما هو، فقد استند على عدد جيشه الكبير لا على قدرة الرب، الذي يمنح النصر أثناء الحروب، ولم يلتفت إلى نصائح أمير الأرمن. فانزع لضياح بلاد الأرمن ولم يصبر على عدم مبالاة القائد فكرر كلامه للمرة الثانية والثالثة فغضب القائد من الأمير ورمى العصا التي بيده عليه وغادر. غضب ثيودوروس وخرج من عنده وأمر جميع القوات تحت إمرته:

“تنكبوا السلاح واخرجوا ضد إسماعيل”. فقام هؤلاء بامتطاء حيواناتهم واختبأوا خلف تل يدعى يغبايرك وسدوا مداخل المضائق وقتلوا العديدين منهم ثم قاموا بسلبهم واتجهوا نحو ناحية كارني (24). أمر بروكوب بدوره جيشه بالهجوم على العدو لكن جيش إسماعيل هاجمه فقتل معظم الروم وفر الباقون ولحق بهم حتى مخيمهم ثم عادوا (العرب) إلى معسكرهم للاستراحة. يقولون أن جيش الروم كان يربو عن 6,000 بينما كان الإسماعيليون أقل من 1,000. قام العرب بجمع الغنائم والعودة إلى بلادهم في اليوم التالي. جرت هذه الأحداث في السنة 22 من حكم الأمراء الإسماعيليين أبي بكر وعثمان وعمر فتوقفوا عن اجتياح بلاد الأرمن مدة 3 سنوات وعادوا للهجوم ثانية بجيوش جرارة في السنة 26 لحكمهم.

شروحات

- (1) هناك جدال حول عنوان كتاب غيفوند...
- (2) إلى جانب لقب “أمير المؤمنين”، يستخدم غيفوند لقب “أمير الطاجيك” و “الأمير الإسماعيلي” و “أمير الإسماعيليين”. قام المؤرخ الأرمني هوفهانس دراسخاناكيردتسي لاحقاً باختراع تعبير “أمير الأمراء” فنسوا تعبير “أمير المؤمنين”.
- آرام تير غيفونديان، ملاحظات حول كلمة حاكم (“فوستيكان” بالأرمنية- المترجم)، مجلة “باتماباناسيراكان هانديس” أكاديمية علوم أرمينيا، 1964، العدد 2، ص 246، بالأرمنية.
- (3) ولد الرسول محمد أو محمد بن عبد الله في مدينة مكة في عام 570م تقريباً في عائلة متواضعة من قبيلة قريش. عمل راعياً في صباه في أول الأمر ثم سافر إلى سوريا ضمن القوافل التجارية وتعرّف على الديانتين المسيحية والموسوية هناك. اقترن من الأرملة الغنية خديجة وقام بإدارة أعمالها التجارية. شرع في نشر دين توحيد جديد في حوالي عام 610م الذي يطالب بالطاعة المطلقة لله. إلا أنه لم يجد قبولاً في مكة واختلف مع سلالة الأمويين فهاجر إلى يثرب (المدينة لاحقاً) في عام 622م حيث أسس طائفة مؤمنين جديدة. قام محمد بشن هجمات على القوافل المتجهة من مكة إلى سوريا، فسمح له أهل مكة في نهاية المطاف بالدخول إليها بحرية ونشر الدين الجديد. علّم محمد الدين الجديد للناس شفهيّاً وتوفي في عام 632م.

كُتبت سيرة الرسول محمد بعد وفاته بمدة طويلة من قبل ابن إسحاق، الذي توفي في حوالي عام 768م، إلا أن معلوماته وصلتنا عن طريق نسخة ابن هشام المنقحة الذي توفي في عام 834م. وأول مؤرخ أرمني موثق يتحدث عنه هو سيبيوس لأنه كان معاصراً له. وتحدث حوله لاحقاً المؤرخون الأرمن توما الأرزروني وموفسيس كاغانكاتواتسي وغيرهما. اهتم مستشرقون عديدون مثل ك. فايل و م. كودفروا-دموموبين وغيرهما بسيرته.

(4) أبو بكر 632-634م، جاء بعد الرسول محمد وسمي بخليفته بعد انتخابه من قبل أعيان الطائفة المسلمة. ثارت القبائل، التي اعتنقت الدين الجديد وجهنّة في ذلك الوقت، في عهده إلا أن الطائفة المسلمة المتمركزة في وسط الحجاز تمكنت من إخضاعها وتأمين وحدة شبه الجزيرة العربية كدولة واحدة: دولة الخلافة وباشر العرب بعدها بالفتوحات بدءاً من عام 633م. Philip Hitti, History of the Arabs, p-178.

(5) عمر بن الخطاب 634-644م

قام العرب بفتوحات كبيرة في عهده استمرت عقداً بدفع قوات الروم والفرس إلى الخلف بسبب الوهن الذي دب في صفوفها جراء الحروب الطويلة بينهما. دخل العرب إلى فلسطين في عام 633م وفتحوا دمشق في عام 635م. جرت المعركة الفاصلة ضد القوات البيزنطية في عام 636م قرب ضفة نهر اليرموك، رافد نهر الأردن، وتعرض ثيودوروس، شقيق الإمبراطور هرقل، لاندحار مدّمر مع جيشه البالغ 50,000 جندياً وتقهقر حتى كيليكيا. اشتركت قوات أرمنية أيضاً في هذه المعركة ويذكر المؤرخ اليوناني ثيوفانس القائد الأرمني فاهان. اشتهر كل من القائدين خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح أثناء فتح سوريا.

انتصر سعد بن أبي وقاص، قائد القوات التي فتحت بلاد الرافدين، على القائد الفارسي رستم في معركة القادسية سنة 637م وكان يشترك ضمن الجيش الفارسي في هذه المعركة غير الموفقة القائدان الأرمنيان موشينغ ماميكونيان بـ 3,000 مقاتل وكريكور سيوني بـ 1,000 مقاتل (سيبيوس المؤرخ الأرمني المعاصر والشاهد عيان على الفتوحات العربية في كتابه ص 108). وبعد هذا الإنكسار، احتل العرب عاصمة الساسانيين ديزبون التي تم سلبها ثم تدميرها.

استمر الفاتحون العرب في تقدمهم من ناحية سوريا ووصلوا إلى المنطقة الشمالية لبلاد ما بين النهرين (الجزيرة) واجتاحت بعض قوات (الكشافة العربية-المترجم) إلى أرمينيا في عام 640م.

دخل القائد عمر بن العاص إلى مصر في عام 640م، وكان سكانها الأقباط قد آسوا الأمرين من اضطهادات البيزنطيين الدينية لهم. لذلك، كان احتلال العرب لمصر يسيراً جداً ثم دخلوا عاصمتها الإسكندرية بعد مقاومة لا تذكر. قُتل عمر بن الخطاب على يد مملوك فارسي. Ph. Hitti, History of the Arabs, p.139-168.

(6) عثمان بن عفان 644-656م

وصلت الفتوحات العربية، التي بوشر بها في عهد خلافة عمر، إلى نهايتها في عهده فتمّ احتلال جميع المقاطعات الفارسية وقُتل الملك هازكيرت الثالث. وبعد احتلال آذربيجان ومقاطعات ما بين النهرين الشمالية، تمّ احتلال أرمينيا وقتياً في عام 654م بقيادة حبيب بن مسلمة واحتل حاكم سوريا معاوية جزيرة قبرص وحصل على انتصارات في البحر ضد الروم. ثم قام عبد الله حاكم مصر باحتلال إفريقيا (تونس الحالية).

إلا أن دولة الخلافة الحديثة العهد كانت ضعيفة داخلياً. وكان عثمان ينتمي إلى سلالة الأمويين التي كانت عائلة متنفذة قبل ظهور الدين الجديد مما سبب استياء الجالية المسلمة. لذلك، ولأسباب شتى أخرى، اغتيل عثمان من قبل العناصر الخائفة.

(7) استخدم العرب والمسلمون الآخرون كلمة "الروم" عوضاً عن "هوروم".

(8) انكسر الإمبراطور هرقل 610-641م، رغم حروبه الناجحة ضد إيران الساسانية، شر انكسار ضد الخلافة العربية وفقدت الإمبراطورية في عهده فلسطين وسوريا وما بين النهرين العليا ومصر. - تاريخ بيزنطة، الجزء 1، ص 363-368، بالروسية.

(9) يسمي المؤرخ غيفوند قسطنطين الثاني 641-668م بقسطنطين فقط. جرت حروب بين بيزنطة والخلافة أثناء حكمه على أرض أرمينيا وسواها.

(10) يعني غيفوند بتعبير "مشرع" الرسول محمد الذي يعتبر مؤسس التشريع الإسلامي لأن القرآن أساس الحقوق الإسلامية (الفقه).

.Van Den Berg, Principes du Droit Musulman, Alger, 1896, p.3-4

(11) يشدد المؤرخان الأرمنيان القروسطيان سيبوس وغيفوند على مساعدة اليهود للعرب كأدلاء للجيوش العربية. وتكمن المسألة في تلك الحقيقة أن سكان فلسطين وسوريا ومصر المسيحيين واليهود

كانوا قد سمّوا من سياسة بيزنطة الدينية الضيقة فلم يقاوموا العرب الذين أفلحوا في فتح تلك البلدان يسر إلى حد أن أمير أرمينيا ثيودوروس رشتوني عقد معاهدة مع الخلافة ضد بيزنطة.

(12) كانت "مَدِيم" أو "مَدِين" Madiana تقع على الجهة الشمالية-الشرقية من البحر الأحمر في القرون الغابرة البعيدة. ويعني غيفوند بتعبير "المديمين" العرب بكل بساطة. وكان المديميون قبيلة رحل مشرقة في شبه الجزيرة العربية.

- معجم الكتب المقدسة، القسطنطينية، 1881، ص 331، بالأرمنية.

- باتكانيان، غيفوند، ص 120، بالروسية.

(13) تعبيرا "ملك الروم" أو "أهل الروم" استخدمهما المؤرخون الأرمن إشارة إلى الإمبراطور

البيزنطي وهو الإمبراطور قسطنطين الثاني 641-668م هنا.

(14) دعا المؤرخون الأرمن العرب بتسميات مختلفة. التعبير الأكثر شيوعاً هو "طاجيك" وهو خاص بالتأريخ الأرمني. وتنحدر الكلمة من اللغة الإيرانية-البهلوية على شكل tacik وتعني عرب. ومن هذه الكلمة جاءت بلاد الطاجيك أو طاجكستان (بلاد العرب).

- هراتشيا آجاريان، تاريخ اللغة الأرمنية، الجزء (أ)، يريفان-1940، ص 287، بالأرمنية.

استخدم المؤرخون الأرمن، كجميع الشعوب المسيحية، تعبيرات أخرى مثل "الإسماعيليون" (أبناء إسماعيل) و"أبناء هاجر" وفي بعض الأحيان "ساراكينوسيون". ينحدر تعبير ساراكينوس من التأريخ اليوناني والروماني القديم. سُمي العرب بأبناء هاجر وإسماعيليون لأنهم، بناء على الكتاب المقدس، ينحدرون من إسماعيل بن إبراهيم من زوجته هاجر. أما اليهود فمن زوجته سارة. وهذه الكلمات الأربع: طاجيك وأبناء إسماعيل وأبناء هاجر وساراكينوس نجدها في كتب المؤرخين الأرمن القديمين: سيبوس وآنايا شيركاتسي وموفسيس كاغانكاتفاتسي وغيفوند وتوما أرتزروني وهوفهاٲس دراسخاناكيردتسي وستيبانوس تارونيتسي وكريكور ماكيستروس ومادتيوس أورهايتسي (متى الرهوي-المترجم).

(15) كلمة "هين" في اللغة الأرمنية الأدبية القديمة Grabar ترجمها الأرمن إلى لص أو مغتصب

الغنائم.

(16) من المحتمل أنه وصف معركة اليرموك عندما انتصر الجيش العربي على البيزنطيين قرب حافة نهر

اليرموك رافد نهر الأردن في 20 آب عام 636م. إنها حقيقة أن الحر الشديد أنهك الروح القتالية

للجيش البيزنطي وحلفائه. وخير دليل على ذلك، أن المؤرخ يروي بعد ذلك أن العرب انتصروا على الفرس في السنة التالية في معركة القادسية عام 637م.

Philip Hitti, History of the Arabs, p.139-168

(17) هو الملك هازكرت الثالث (يازتكارت الثالث-المترجم) الذي قُتل قرب ميرف في عام 651م من قبل أحد البغالين أثناء نومه وكان الملك قد لجأ إليه بعد فراره من ساحة الحرب مندحراً.

(18) ملاحظة ك. شاهنازاريان أن تاريخ 481م لا يتطابق مع حقبة حكم الساسانيين هي صحيحة لأن الساسانيين حكموا بين سنتي 224-651م أي مدة 427 عاماً.

(19) من المحتمل كانت مقاطعات الماريين تقع في المناطق الجنوبية من نهر آراكس حول نهر الأحمر على أطراف مدينة ماراكرت.

(20) من النواحي الشيقة ذكر جوغا وخاصة أن المؤرخين قبل غيفوند لم يذكروا هذه المدينة. من المحتمل كانت هذه المنطقة الأرمنية القديمة إحدى العقد على طرق التجارة.

(21) ثيودوروس رشتوني كان أحد الشخصيات الأرمنية المرموقة في القرون الوسطى في القرن 7 م وكان قائد القوات الأرمنية في القسم الفارسي من أرمينيا التاريخية في عهد المرزبان فارازتيروتس بقراتوني في عشرينيات هذا القرن وكان شخصية متنفذة لدرجة اقتراحه انتخاب الكاثوليكوس كريستابور الثالث في عام 628م. وبعد ابتعاد المرزبان، أضحى الحاكم الفعلي لمارزبانية أرمينيا. استغل ثيودور

رشتوني في عام 639م انتصارات العرب ضد البيزنطيين والفرس فقام بتوحيد شطري أرمينيا البيزنطية والفرسية بعد طرد بطريق الأرمن دافيت ساهاروني وأقام الإمارة الأرمنية. ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية القرن 7 م، كانت الإمارة الأرمنية شبه مستقلة ومستقلة في بعض الأحيان وتُحكم من قبل الأمراء الأرمن. لكن هذه الإمارة، التي أسسها ثيودوروس، كانت لا تزال ضعيفة لأن الأمراء الأرمن لم يرغبوا

في رؤية حكم مركزي في البلاد. وعندما قام العرب بأول هجوم على أرمينيا في عام 640م، لم تتمكن أرمينيا من المقاومة كما يجب فمنح إمبراطور الروم قسطنطين ثيودوروس رشتوني لقب بطريق للحيلولة دون تقدم الجيوش العربية. غدر به القائد البيزنطي توما واعتقله وأرسله إلى القسطنطينية لكنه قفل راجعاً بسرعة إلى الوطن معزراً بعد تبرئته. ورغم وصوله إلى بعض الانتصارات ضد العرب، إلا أنه كان

يشعر بكره شديد ضد سياسة بيزنطة الماكرة فعقد حلفاً مع الخلافة العربية في عام 652م. وكانت خطوته هذه ظاهرة استثنائية في التاريخ الأرمني القروسطي لأنه فضّل مصالح الدولة الأرمنية على الصداقة المهلهلة مع إمبراطورية مسيحية ماكرة.

قام حاكم سوريا معاوية بتعيين ثيودوروس رشتوني حاكماً على أرمينيا التاريخية وشرقي جيورجيا وبلاد آران وباب الأبواب (ولاية أرمينيا العربية لاحقاً) باسم الخلافة. اتجه الأمير الأرمني إلى دمشق بعد اجتياحات البيزنطيين في عام 653م واجتياحات العرب في عام 654م وتوفي هناك ونقلت جثته إلى أرمينيا ودُفن في رشتونيك.

- المؤرخ الأرمني سيبوس من القرن 7 م، ص 110-154، بالأرمنية.

- آرام تير-غيفونديان، أرمينيا والخلافة العربية، بالروسية، ص 23-36.

- غازاريان، أرمينيا تحت حكم الإمبراطورية العربية، ص 34-37، بالألمانية.

(22) بناء على الكتاب المقدس، ينحدر العرب من هاجر زوجة إسماعيل بن إبراهيم. لذلك، يدعو الأرمن العرب بـ "أبناء إسماعيل" أو "إسماعيليون" أما الشعب بـ "بنو إسماعيل".

(23) يشير إلى هجوم العرب في عام 642-643م عبر آذربيجان.

(24) هي منطقة كارني في باسفرجان التي تقع غربي ماردوتسايك (مارداستان). انتهت الشروحات

الفصل الثالث

علم الأمير ثيودوروس في السنة الثالثة من حكم قسطنطين، حفيد إمبراطور الروم هرقل، أن العدو هاجم بلادنا (25) مصطحباً جيشه وهو يتطلع إلى احتلال مضائق طريق دزورا (26) لكنه لم يفلح في الوصول قبلهم لأن الأعداء هاجموا بسرعة كالثعابين المجنحة تاركين خلفهم الجيش الأرمني وتقدموا نحو العاصمة دفين (ديبل حسب لفظ العرب- المترجم) فوجدوا المدينة خالية من رجال مؤهلين للاشتراك في الحرب لأن الجميع ذهبوا مع الأمير ثيودوروس ولم يبق فيها سوى النساء والأطفال وجمع غير منظم. وصلوا إلى المدينة واحتلوا قلعتها مباشرة وقتلوا جميع الرجال فيها وأسروا 35,000 من النساء والأطفال.

أمام كل ذلك، مَنْ باستطاعته أن ينوح بشكل لائق على التعاسة التي خلفتها النكبة لأن الجميع كانوا في حال يرثى لها ولا يمكنهم الخروج منها. إن الكنائس، التي كان على المشركين عدم الولوج إليها، هُدمت وتحولت إلى خرائب وأضحى موطئ قدم للطغاة وذُبح الخوارنة والشماسون والموظفون بسيف الأعداء العتاة غير الرحيمين. سيدات عديدات عشن في رغد طوال حياتهن ولم يتعرضن إلى صعوبات سُحلن إلى الساحات العامة تحت تعذيب الضرب بالنبوتات وكن ينتجن ويولولن على ما آلت إليه أحوالهن. وقسم آخر من الأسرى بذكوره وإناثه كان في حال اضطراب وحسرة لأنهم لم يعرفوا على مَنْ يجب أن ينتحبوا أكثر: على المذبوحين بالسيف من قبل الطغاة أم على الناجين من الذكور والإناث الذين سيقوا لتغريبهم عن إيمان المسيح والتسيبحات الإلهية الروحية. ورغم بكاء العديدين ونحيبهم على الجثث المضرجة بالدماء والموضوعة فوق بعضها بشكل يبعث على الشفقة، لم يكن بوسعهم جمع جثثهم ودفنها. ونجد ضرورياً الاستشهاد بكلمات الرسول حول النحيب عندما قال: “إلهي، دخل المشركون إلى مُلكك ودفنوا معبدك المقدس وألقوا جثث خدامك فريسة لطيور السماء الجارحة ورموا أجساد قديسيك أمام الوحوش الضارية ولم يكن هناك أحد لمواراتهم تحت الثرى (27)”.
أما جيش الأرمن بأمرائه والأمير ثيودوروس، وعندما رأوا ضغوطات اللصوص الشديدة، وهنت أيدي المحاربين ولم يتمكنوا من مهاجمة العدو الغاصب. ورغم أسر نساءهم وأطفالهم، لم يتمكنوا من مواجهته لقلعة عددهم فقعدوا ينتحبون ويكون قدر نساءهم وأولادهم. أما أبناء هاجر، فقد قاموا بسوقهم إلى سوريا ولم يعودوا إلى بلاد الأرمن مدة 10 سنوات. بعد ذلك، جمعوا جيشاً في السنة 36 من حكمهم واجتاحوا بلاد أرمينيا ثانية وكان يقودهم عثمان وعقبة. وعندما دنوا من حدود أرمينيا، انقسم جيشها إلى 3 أقسام:

اتجه قسم نحو فاسبوركان (بأسفرجان حسب لفظ المؤرخين العرب-المترجم) واحتل بعض القصبات والقلاع الممتدة حتى مدينة نخيتشيفان (نشوى حسب لفظ العرب-المترجم). وسار قسم آخر إلى تارون والقسم الثالث وصل إلى كوغوفيت وطوّق حصن أردزاب. اكتشف الأعداء مدخل القلعة وصعدوا على سورها في الليل سراً، لأن الحراس كانوا نائمين، وقاموا باحتلاله. ثم قاموا بشد وثاق الرجال والاختلاط مع النساء ببذاءة وجموح.

إلا أن الله، الذي يرى كل شيء، أشفق على الذين يؤمنون به ولم يتخل عنهم فأرسل ثيودوروس رشتوني للتأثر بسبب تلك الممارسات الشريرة فهجم بسرعة كالنسر مع 600 من مغاويره المدججين بالسلاح وانقص على العدو السالب وقتل منه 3,000 شخصاً وحرر الرجال من أصفادهم وفر باقي

جنود العدو. أعاد المحاربون الأرمن إلى السكان ما سلبه منهم العدو من غنائم وعادوا من حيث أتوا
مجددين الله الذي أخذ بثأرهم من الأعداء. وذلك الجيش (العربي)، الذي تحدثت عنه سابقاً، سار نحو
سوريا مصطحباً الغنيمة الحربية والأسرى وساد السلام مدة سنتين.

الفصل الرابع

صعد بعد ذلك شخص يدعى معاوية على سدة الحكم فحكم 19 سنة و4 أشهر ثم توفي (28). سأتحدث
عن الأمير كريكور (29) الذي كان في أيام معاوية والأحداث التي جرت في بلاد الأرمن ووفاة الأمراء.
بدأ أمير التاجيك (العرب) في تجهيز جيش في السنة الأولى لحكمه والسنة 15 لحكم الإمبراطور
قسطنطين، حفيد هرقل، لاجتياح بلاد الأرمن. عندما علم الملك قسطنطين ذلك، أمر قائده في جهات
كيليكيا القيام ضدهم وأقال الأمير ثيودوروس من الحكم بسبب مكره ضد القائد بروكوب وعين مكانه
سمبات (30) من عائلة الأمراء البقراتونيين وأرسله مع قائده وكتب إلى ثيودوروس رشتوني (31)،
الذي كان أمير الأرمن سابقاً، قائلاً: "قم مع القوات الموجودة تحت إمرتك وحارب معنا". إلا أن هذا لم
يجذب الحرب. فكتب ثانية: "عند عدم قيامك ضد العدو برفقتنا، سنهني سلالتك من بين سلالاتنا عند
عودتنا من هناك". فارتعد (ثيودوروس) من هذا الوعيد، فسأل ابنه فاردكي يذهب مع الأمير سمبات
وأوصاه باللجوء إلى المكر ضد الأصحاب والاتفاق مع الأعداء. اتجه هذا نحو قائد الروم وسار الجميع نحو
سوريا بعد عبور الفرات. تقرب ابن ثيودوروس من القائد وطلب منه تعيينه مسؤولاً عن السفن.
عندما اصطدم الطرفان بعد بدء الحرب، تعزز جيش التاجيك ثانية في يوم السبت العظيم من العيد
فعرض قوات الروم إلى الهزيمة. وعندما أيقن ابن ثيودوروس بنصر إسماعيل، عبر إلى الطرف الآخر
من النهر بجسارة وقطع أوتار الجسر للحيلولة دون إنقاذ الفارين فأحاط هؤلاء (العرب) بجيش الروم
وأغرقوا بعضهم في النهر وأُنقذ بعضهم الآخر فهربوا إلى بلادهم. ينس ملك الروم بعد ذلك لأنه أدرك أن
فشله في الحكم هو من عند الله ولم يهاجم أبناء إسماعيل بعد ذلك قط.

أما أمير الإسماعيليين، فقد أرسل مرسوماً إلى بلاد الأرمن قائلاً: "إن لم تدفعوا الجزية أو تدخلوا تحت
سيادتي سأقوم بقتلكم جميعاً بالسيف". فقام كاثوليكوس الأرمن نرسييس (32) عندئذ، باني (كنيسة)

القديس كريكور، بعقد اجتماع وقرر أمراء بلادنا دفع الجزية لدولة الإسماعيليين المستبدة. وطلب هؤلاء رهائن فقدموا لهم أميرين: كريكور من عائلة الماميكونيانيين وسمبات من عائلة البقرا دونيين. قادوا هذين الشخصين إلى أمير التاجيك معاوية الذي عين جزية سنوية على بلاد الأرمن مقدارها 500 درهماً وبالمقابل سيقطن كل فرد في موطنه بأمان.

استدعى معاوية كريكور وسمبات في السنة الثانية لحكمه، اللذين كانا رهينتين في البلاط، ومنح كريكور شرف حكم بلاد الأرمن وبعثه إلى بلادنا أرمينيا بإجلال كبير وساد السلام في أيام حكمه. حكم بعده ابنه يزيد (33) الذي عاش سنتان وخمسة أشهر ثم توفي. قام بدوره بجباية الجزية من بلاد الأرمن بالمقدار الذي جاء ذكره في الأعلى.

حكم بعده مروان بن عبد الملك (34) مدة 21 سنة وتوفي بعدها. وكانت صفاته كالتالي: كان مستبدًا ومحارباً شرساً فانفجرت اضطرابات عظيمة بين التاجيك في السنة الثانية لحكمه وجرت معركة وسالت دماء واشتدت الحرب طوال 3 سنوات تقريباً وزاد عدد القتلى بأعداد لا يمكن إحصاؤها (35) إلى حد تحققت نبوءة داود الذي قال: "سُتُغرس سيوفهم في قلوبهم وتُهشَّم أقواسهم" لأن دم الثأر أهرق عوضاً عن دم أمتنا المسيحية البريئة وأخذ الرب بثأره منهم بأيديهم مقابل تحقير خدامه.

أما أمير الأرمن كريكور، فقد فرض السلام في بلاد الأرمن في سنوات حكمه من جميع أشكال العداوات والهجمات. كان إنساناً يخاف الله ومحباً للأشقاء والغرباء ومداوياً لأحوال الفقراء وكاملاً في إيمانه بالرب وقام ببناء دار عبادة في ناحية آروج (36) في مقاطعة أراكدوزتن وهي كنيسة جميلة مزدانة بأناقة لتمجيد اسم الخالق.

توقفت أرمينيا وفيرك (شرقي جيورجيا-الترجم) وآران عن دفع الجزية أثناء الاقتتال الذي جرى بين التاجيك بعد خدمتهم لهم مدة 30 سنة. استمرت الثورة مدة 4 سنوات. احتل الشعب الشمالي، الذي يدعى الخزر، بلاد الأرمن في السنة الرابعة (37). قام هؤلاء بقتل الأمير كريكور أثناء الحرب إلى جانب عدد كبير من الأمراء الجيورجيين والآرانيين ثم اجتاحوا مقاطعات ونواح عديدة في بلاد الأرمن وقاموا باحتلالها وقفلوا عائدتين إلى بلادهم بعد اصطحاب الغنائم والأسرى.

الفصل الخامس

حول حكم آشوت (38) ووفاته والحرائق التي سببها الهوروم (39).
بعد وفاة كريكور، تحولت السلطة إلى البطريق آشوت الذي كان رجلاً جليلاً والأكثر ترجيحاً بين أمراء أرمينيا وكان من سلالة البقراونيين بسلطتهم الغنية الباهرة. كان متيقظاً جداً في تصرفاته الدنيوية ويجب الفضيلة والأشرف بينهم وعلى علم بمخافة الله ويعتني بجميع الأعمال الخيرية ومجداً في التعلّم وكان يزيّن كنائس الله برهبان مفوّهين وجموع الموظفين الكنسيين ويكرّمها بأبنية مرموقة من كنوزه. شيد في قصبته كنيسة داريونك ووضع فيها صورة المسيح البشرية الباهرة الحية التي جاء بها من الغرب وباسم المسيح أيضاً كرس الكنيسة. ظهرت نجمة بمظهر غريب وشعر كثيف في السنة الأولى لحكمه وإكليل نور يتلألأ خلفه كالعامود تدعى نجمة مذنبه. وكانت هذه النجمة إشارة جذب وسيف وزلزال كبير.
بعث الإمبراطور جوستينيان (40) في السنة الثانية من حكمه وفي عهد البطريق آشوت جيوشاً جارية ضد بلادنا أرمينيا وقامت بتخريبها عبر السلب والنهب. وبعد إضرام النار في أبنية عديدة رائعة، قفلت عائداً إلى بلادها. وبسبب معاداة زعماء الروم لجوستينيان هذا، قاموا بجذع أنفه ثم نفيه وتوجوا ليو (41) وأبسيروس تيبير (42) وثيودوس (43) عوضاً عنه. أما جوستينيان، فقد اتجه إلى بلاد الخزر واقترن من ابنة ملكها وطلب منه قوات لدعمه. أرسل هذا قوات كبيرة اصطحبها جوستينيان مع ابن حميه ترويعي (44) الذي كان شخصية قوية. بعد وصوله إلى القسطنطينية، حارب (جوستينيان) أعداءه وتغلب عليهم وعاد إلى حكم البلاد. توفي ترويعي أثناء الحرب وأعاد جوستينيان القوات الخزرية إلى بلادهم محملين بهدايا كبيرة جداً وأشياء ثمينة.
احتفظ آشوت بحكمه مدة 4 سنوات وفي السنة الرابعة هاجمت جماعة من أولاد إسماعيل بلادنا أرمينيا. وكان هؤلاء أولاد زنى وطغاة بسبب ممارساتهم في مقاطعات المارين: في خرام وجوغا وخوشاكونك وكانوا يعذبون الرجال طلباً للجزية ويحاولون هتك أعراض النساء بفجورهم المقرف. وصلت أخبار تصرفاتهم الشريرة إلى الأمير آشوت فأمر الجيش بالتحرك ضدهم في الحال فقاموا بقتلهم بالسيوف ولجأ الباقي إلى الفرار. ولكن روح الشيطان الماكرة، التي رأت أن ضربة العدو كانت شديدة، أمر قواته بعرض الغنمية على الساحة أمام ناظري جيش الأرمن فتوقف عن ملاحقة هؤلاء واجتمعوا حول الغنمية دون تبصّر. وكان الأمير آشوت يلاحقهم لوحده مع بعض الجنود. شعر الأعداء بقوتهم ثانية

والتفتوا نحوه وقاموا بجرحه فعلت صرخة عالية في الجيش وعاد الجنود إلى ملاحظتهم ووصلوا إلى الأعداء وقاموا بقتلهم. ثم حملوا الأمير وجاؤوا به إلى كوغوفيت إلا أنه توفي في فراشه ودُفن في قرية داريونك مثواه الأخير.

شروحات

(25) يعود غيفوند هنا إلى الخلف ويصف اجتياح عام 640م بناء على ما جاء لدى المؤرخ الأرمني سيبيوس لكنه ينتحب على الشرور التي سببها العرب في أرمينيا.

(26) هذا ممر جورا على جبال تافروس على الطريق المؤدية بين باغيش وأخلاط.

(27) هذه المعلومة أن العرب عادوا للهجوم بعد 10 سنوات هامة جداً لأنه يذكر بذلك تاريخ هجوم القوات العربية في عام 650م.

(28) كان معاوية حاكم سوريا بين 640-650م ومن السلالة الأموية كعثمان ووصل إلى مواقع متقدمة في الحكم. ثار معاوية ضد الخليفة علي 656-661م وانتصر عليه وترجع على عرش الخلافة 661-680م وجعل دمشق عاصمة له عوضاً عن المدينة وشدد الكفاح ضد بيزنطة.

.Ph. Hitti, History of the Arabs, p.199-201

(29) كان كريكور ماميكونيان حامل لقب أمير الأرمن في القرن 7 م والحاكم الأملعي بين جميع الأمراء الذين تبوأوا هذا المنصب. كانت أرمينيا في السنوات 639-693م إمارة مستقلة سياسياً لكن لا يحكمها الأمراء وراثياً بل كانوا يُنتخبون من قبل مجلس الأمراء ثم يوافق عليه إمبراطور بيزنطة أو الخليفة العربي. تشكلت الإمارة الأرمينية في عهد ثيودوروس رشتوني بعد توحيد شطري أرمينيا التاريخية البيزنطية والفارسية. ضُمت إلى أرمينيا الموحدة أيضاً منطقتين أرمينيتين آخريين هما سيونيك وأرتساخ (قراباغ الحالية- المترجم) في عهد الأمير هامازاسب ماميكونيان.

ارتبطت أرمينيا شكلياً بالخلافة العربية وكانت تدفع لها 500 ديناراً ذهبياً سنوياً وحول كريكور ماميكونيان البلاد إلى منطقة محايدة وساهم في ازدهار حياتها. ازدهرت مدن أرمينيا، الواقعة على طول

وادي نهر آراكس على وجه الخصوص، لوجود طريق تجارية نشيطة في نخيجيفان ودبيل وفاغارشات ومارميت (يرفانتشات) وكارين وغيرها. ازدهرت في أرمينيا هندسة العمارة أيضاً في هذه الفترة وشُيدت أوابد ككنيسة زفارتنوتس وهرييسيميه وكايانيه وآروج وطالين وسيسيان وأودزون وتطورت العلوم التاريخية (المؤرخان سيبيوس وآانيا شيراكاتسي).

لم تكن لأرمينيا عاصمة دائمة في هذه الحقبة رغم أن دبيل كانت مدينتها الرئيسية. وكان كل أمير متمركزاً في مقاطعته: ثيودوروس رشتوني في آختامار وهامازاسب وكريكور ماميكونيان في آروج. أما آشوت بقراتوني، ففي داريونك.

كان جوهر جيش الأرمن مشكلاً من 15,000 فارس وكان قادته من الأمراء في القرن 7 م كالتالي:

- مجيج كنوني 633-629م

- دافيت ساهاروني 639-639م

- ثيودوروس رشتوني 654-639م

- هامازاسب ماميكونيان 661-654م

- كريكور ماميكونيان 685-661م

- آشوت بقراتوني 689-685م

- نرسيه كامساركان 693-689م

- سمبات بقراتوني 701-693م (للمرة الأولى)

آرام تير-غيفونديان، أرمينيا والخلافة العربية، ص 49-51، بالروسية.

(30) هناك بعض الخلط عند غيفوند لأن المؤرخ الأرمني سيبيوس يضع تعيين فارجتيروتس أميراً

لأرمينيا في أربعينيات القرن 7 م عوضاً عن ثيودوروس رشتوني.

(31) كان ثيودوروس رشتوني متوفياً أثناء أحداث ستينيات القرن 7 م منذ زمن بعيد وكان غيفوند في

حال التباس فوضع معلومته، التي استخلصها من سيبيوس أو غيره من المصادر، في مكانها غير

الصحيح.

(32) كان كاثوليكوس الأرمن نرسيس الثالث ديتسي أو إسخانيتسي 661-641م شخصية مرموقة جداً

في حياة أرمينيا السياسية وكان موالياً للبيزنطيين والخلقيونية وعلى خلاف دائم مع الأمير ثيودوروس

رشتوني. ابنتي كنيسة القديس كريكور المعروفة بكاتدرائية زفارتنوتس (كنيسة الملائكة) غير البعيدة عن

عاصمة أرمينيا القديمة فاغارشابات. تُشرح هذه التسمية المزدوجة من قبل المؤرخ الأرمني سيبيوس بظهور الملائكة للقديس كريكور وهو المكان الذي قابل فيه الملك الأرمني تردات كريكور على طريقه إلى العاصمة فاغارشابات.

- تاريخ سيبيوس، ص 120، بالأرمنية.

(33) حكم الخليفة يزيد الأول في الأعوام 680-683م.

(34) الخليفة عبد الملك 685-705م هو المؤسس الحقيقي للخلافة العربية القوية. أخضع عصيان عبد الله بن زبير وأقام دولة موحدة تمتد بين المحيط الأطلسي وحتى الهند. أضحت العربية لغة الدولة الرسمية في عهده وبُديء بضرب النقود النحاسية (الفلوس) والفضية (الدرهم) والذهبية (الدنانير) بكتابات عربية وانتظمت الضرائب واشتدت أمور جبايتها. اشتهر في أيامه نائبه الحجاج في المناطق الشرقية كحاكم مستبد.

(35) يعود الحديث إلى ثورة عبد الله بن زبير التي انفجرت قبل استلام عبد الملك الحكم وتم إخضاعها في عهده.

(36) كاتدرائية القديس كريكور في أروج من الأنصاب المعارية الأرمينية الشهيرة التي شيدت في ستينيات القرن 7 م حسب الكتابات على جدرانها وشهادات المؤرخين الأرمن مثل غيفوند وهوفهانس دراسخاناكيردتسي وستيبانوس تارونيتسي أصوغيك في عهد الأمير كريكور ماميكونيان. تم الكشف عن أطلال قصر الأمير أثناء التنقيبات المنجھية حول الكنيسة في عام 1948-1951.

- فارازدات هاروتيونيان، أبدة مدينة جديدة من القرن 7 م، تقرير أكاديمية علوم أرمينيا، عدد 8، 1953، بالأرمنية.

(37) ظهر الخزر في أوروبا الشرقية وكانوا يقطنون في شمالي-غربي بحر قزوين بعد اجتياحات شعوب الهون في القرن 4 م وأقاموا دولة في القرن 7 م تسمى الخاقانية وكانت عاصمتهم ساماندار في داغستان حتى بداية القرن 8 م ثم مدينة إيتيل في حوض نهر الفولكا الأسفل. كانت الدولة الخزرية في حال حرب مع إيران الساسانية فعقدت معاهدة مع بيزنطة وحاربت القوات العربية متحالفة مع الروم أيضاً. احتل الخزر كامل القفقاس الشمالي وقسم من القرم. وكانت اجتياحاتهم متكررة محترقين الجبال القفقاسية جنوباً حتى المناطق المتاخمة لبحر قزوين (شيرفان). حاول أمير الأرمن كريكور ماميكونيان دعوة تلك القبائل المتوحشة: الهونيين والخزر، لاعتناق الدين المسيحي بإرسال وفد برئاسة راهب

أرمني إلا أن النتائج كانت وقتية. وكان النجاح في هذه المسألة للبيزنطيين إلى حد معين عندما أسسوا مطرانيات في 7 من مناطق هؤلاء كانت إحداها في العاصمة إيتيل. ومن جهة أخرى، كان العرب بدورهم يجاهدون لاعتناق هؤلاء الإسلام إلا أن الخزر لم يعتنقوا أية من هاتين الديانتين، بل فضلوا الموسوية (الدين اليهودي) التي أعلن عنها الخاقان ديناً رسمياً للدولة في القرن 10م. انهارت دولة الخزر وزالت في نهاية هذا القرن بسبب الهجمات المستمرة عليها من كل حذب وضعف الأوضاع الداخلية. - أرتامانوف، خاقانية الخزر، الموسوعة التاريخية السوفياتية، الجزء 15، موسكو-1974، ص 483-484، بالروسية.

(38) حافظت أرمينيا على استقلالها في عهد أمير الأرمن آشوت بقراتوني 685-689م وكان مركزه مدينة داريونك التي لعبت دور العاصمة مدة 100 سنة بعده بسبب تمركز سلطة البلاد بيد البقراتونيين تدريجياً.

(39) تشير كلمة "هوروم" في نص المؤرخ غيفوند إلى شرور البيزنطيين حسب رأي المؤرخ الأرمني الشهير ك. باتكانيان.

(40) حكم الإمبراطور جستينيانوس لفترتين: 685-695م و705-711م. عاد إلى شن الحروب ضد العرب، لكنه تعرض للهزيمة.

(41) بعد عزل جستينيانوس عن العرش ونفيه خلفه ليونيتوس 695-698م.

(42) بعد أن أصبح الأدميرال أبسباروس إمبراطوراً 698-705م سمي بتييريوس الثالث ومن المحتمل جرى اعتبار الاسمين لشخصين مختلفين أثناء تجهيز المخطوطات في القرون الوسطى.

(43) أصبح ثيودوس أو ثيودوسيوس الثالث 715-717م إمبراطوراً لا خليفة لليونيتوس أو تييريوس، بل بعد الفترة الثانية لعزل جستينيانوس. خلف فاردان فيليتيك 711-713م (وأصله أرمني) هذا الأخير ثم أناستاسيوس الثاني 713-715م وثيودوسيوس هذا واغتصب منه الحكم ليو الثالث 717-741م مؤسس السلالة الإزاورية.

- تاريخ بيزنطة، الجزء الثاني، ص 46-48، بالروسية.

(44) ترويف هو خان البلغار تيرفيل 701-718م وليس له أية علاقة بخاقان الخزر. وصل جوستينيانوس إلى بلغاريا في عام 705م من عند الخزر وأقنع تيرفيل واصطحبه معه لاحتلال القسطنطينية. وبعد الانتصار، انسحب البلغار وعاد تيرفيل واجتاح القسطنطينية بعد عزل جوستينيانوس للمرة الثانية.

وعندما حاصر العرب المدينة في عام 716م، ظهر تيرفيل خلف خطوطهم وأكرههم على التقهقر. وبناء على المؤرخ ثيوفانس اليوناني، وعد جوستينيانوس تقديم ابنته زوجة للملك البلغاري ويؤكد المؤرخ الأرمني غيفوندي على ذلك.

- تاريخ بيزنطة، الجزء 2، ص 45-46، 50، بالروسية.

- أرتامانوف، تاريخ الخزر، ص 197، بالروسية. انتهت الشروحات .

الفصل السادس

حول معركة المستنقع.

أرسل أبسوميروس ملك الروم وخليفة جوستينيان جيشاً وأمر بالقبض على سمبات (45) بن فاراجتيروتس الذي كان يشعر بضغينة ضد جيش الروم وينوي الثأر منه بسبب قتل الروم لوالده. وصلت قوات الروم وقاتلته في وادٍ يدعى باييك المليء بالمستنقعات. إلا أن جيش الأرمن تعرض لضربات عديدة بسبب قلة عدده ومع ذلك سقط العديد من صفوف الروم أيضاً. عندما أيقن سمبات استحالة مقاومة جيش الروم، هرب مع عدد قليل من محاربيه وابتعد جيش الروم عائداً إلى بلاده.

الفصل السابع

سأروي أيضاً حول المآسي التي لا يمكن تحملها التي أصابتنا من أبناء إسماعيل. في السنة 16 من حكم عبد الملك، حرّض الشيطان الشرير قلبه فأمر قواته بمهاجمة بلادنا. وكان قائدهم محمد (47) السفاح والشيطان المسوس، الذي أقسم على عقد عهد ظالم مع أميره، بالأ يرض سيفه في غمده حتى ولو وجه إلى قلب بلادنا وسار بغطرسة حتى وصل إلى ناحية جيرماتسور وقتل كل إنسان

يلتقيه على دربه دون شفقة حسب تعهدهم. والعديدون، الذين كانوا على علم مسبقاً، انسحبوا ولجأوا إلى حمى القلاع. احتل محمد حصوناً عديدة غدرًا لأنه كان يدعو إلى السلام بكلمات كاذبة لذلك كانوا يثقون به وينزلون من القلاع وكان يُعمل في الرجال السيوف ويقوم بأسر النساء والأطفال مسبباً مضايقات وأزمات عديدة لبلادنا إلى حد كان الناس يفضلون (الموت) على الحياة بسبب العذابات ويتحسرون على المتوفين المبتعدين عن الدنيا بميتة طبيعية.

وصل محمد إلى قمة الكفر بعد سنتين لنفث سُمه المميت وخطط الموت لأخوية القديس كريكور (48) لأنه كان قد رأى جمال الأنية الفاخرة الذائعة الصيت التي جُمعت بيد ملوك بلادنا وأمرائها وشاهد أيضاً تنظيم طبقة القسس الملائكي والحياة المرتبة للرهبان وموظفي الكنيسة واستمع إلى الأناشيد الملائكية على الأرض فتفرَّح فؤاده بالحسد ونصب مكيدة مميته غدرًا. فذهبت جماعة من هؤلاء الطغاة للمبيت تحت سقفهم واستيقظوا ليلاً وخنقوا أحد خدّامهم ورموا جثته في حفرة عميقة. وعند استعدادهم لمغادرة المكان عند طلوع الشمس، سألوا عن الخادم وعندما لم يعثروا عليه كبدهم صعوبات وعذابات عديدة. وبعد التفتيش عنه، وجدوه في حفرة عميقة كانوا قد رموا جثته فيها واعتقلوا الجميع صغيرهم وكبيرهم بذريعة ملفقة كاذبة ورموهم في غياهب السجن ثم كتبوا إلى محمد الدموي قائلين: ارتكبوا الأفعال التالية ضدنا، فأَي موت يستحقون؟ وعندما علم (أمر) أن يحكموا عليهم حسب ما يرون وينهبوا ما تملكه الكنيسة. بعد الحصول على الأمر الظالم، قام الجلادون بالمنافسة بين بعضهم لتنفيذ أمر والدهم الشيطان الذي كان مجرمًا منذ البداية ولم يبقَ صادقًا كما تعلمنا من الرب. وبعد إخراجهم من السجن، وهم مقيدون بالأصفاد، وبعد تهشيم أيديهم وأرجلهم قاموا بنصبهم على الأخشاب حتى ماتوا. لذلك، مَنْ بوسعه سرد هذه المآسي التي تعرضوا لها دون ذرف الدموع الغزيرة؟ حُرمت الكنيسة المقدسة من تنظيم منبرها وصمت الصوت الذي يسبح الخالق كذلك توقفت التراتيل الدينية والقدايس وانطفأت أنوار الأسرجة البراقة التي تضيء الليل كالنهار وزالت رائحة البخور العطرة وتمنيات الخوارنة والتسبيح الذي يقدمونه للخالق يطلبون منه السلام. ويمكن التأكيد على أن هيكلكم الله أصبح خاويًا من كل أناقة. يا صبر المسيح الطويل، كيف سمح للمستبدين الاقتراء على مجديه وإدانته بالموت الزؤام. لكنه رغب في منحهم الحياة الأبدية عوضاً عن الحياة المؤقتة ليكونوا مشتركين في عذاباته ومجده. وبما أنهم صُلبوا كالمسيح، فإنهم سيُتَّوَّجون. وهؤلاء الذين توفوا معه سيُبعثون معه من بين الأموات ويرثون

السعادة الموعودة إلى أبد الآبدين. أما عملاء الشيطان، فإنهم سيرثون علقم شتى أنواع العذابات والنار والظلام والدودة الحية ودموع العيون وصرير الأسنان. سيصاب بهذه البلايا كل إنسان يلجأ إلى الاستبداد.

أما محمد، الذي تحدثنا عنه، وبعد تنفيذ جميع هذه الشرور، اتجه إلى آذربيجان بغنائم كبيرة بينما ظل سكان بلادنا كحزمة من السنابل الهشة المحترقة تحت أقدام الخنازير.

الفصل الثامن

عندما ذهب القائد محمد إلى سوريا، ترك أحد الإسماعيليين في بلاد الأرمن حاكماً (49). ففكر هذا في حيلة بحيث ينهي وجود عائلات الأمراء فيها مع فرسانهم. فعلم سمبات، الذي كان من سلالة الأمراء البقراتونيين، والأمراء الآخرون والفرسان بأفكاره الخبيثة بسرعة واستدعى بعض أمراء سلالته كآشوت بن سمبات وثيودوروس بن فارد وشقيقه آشوت وغيرهم من الأمراء لإيجاد حل لإنقاذ أنفسهم وقرر المجتمعون في نهاية المطاف الابتعاد عن البلاد واللجوء إلى ملك الروم.

افترق بعض الأمراء (50) وذهبوا إلى نواحي باسفرجان حيث يقطن ناسك لاستشارته فقد كان رجلاً مقدساً ومُنتخباً وغني بحكمته الروحية. لكنه رثى ضياع البلاد ودمار الكنائس وزوال عائلة الأمراء ولم يتمكن من تقديم أية نصيحة خلا أن يكونوا حكماء ويحترزوا من المكر. وبعد أن صلى من أجلهم، سلّمهم لنعمة الله وطلب منهم المغادرة. سار هؤلاء بمحاذاة شاطئ نهر يراسخ واجتازوا حدود أوغاييه حتى وصلوا إلى ناحية أغوري الكبيرة. أما جنود إسماعيل، الذين كانوا في مدينة نخيجيفان، فلم يتوقفوا عن ملاحقتهم، وكان عددهم يربو عن 5,000، ويتطلعون إلى القبض عليهم أحياء. وعندما علم الجنود الأرمن بتوجّه العدو النّهَاب ضدهم، عبروا نهر يراسخ ونصبوا معسكرهم في ناحية فارداناكرت بينما كانت قوات التاجيك تلاحقهم. أرسلت القوات الأرمنية رسالة إلى قوات التاجيك تسألها: "لماذا تلاحقونا؟ ما الذنب الذي اقترفناه تجاهكم؟ إن بلادنا أمامكم فقد تركنا لكم دورنا وحقولنا وغاباتنا وأريافنا فلماذا تطلبون أرواحنا؟ إسمحوا لنا بالابتعاد عن حدودنا".

إلا أن قوات إسماعيل لم تشأ الاستماع إليهم لأن الرب كان قد قسى أفئدتهم كي يقفوا تحت نصال السيوف. أما الجنود الأرمن، فقد تحصنوا في شوارع البلدة وعينوا حراساً حتى شروق النهار وقاموا بالصلاة طوال الليل راجين دعم يد رب الجميع القوية وعدله بينهم وبين أعدائهم. وعندما انتهت صلوات الصباح عند الفجر، قُدم قداس وتناولوا القربان بجسد الرب (السيد المسيح- المترجم) ودمه معتبرين ذلك آخر هم ضروري تجاههم. وبعد تناول طعام خفيف، نشطت أجسامهم وقاموا مباشرة ونظموا كتيبة بعد أخرى وجبهة بعد أخرى وبدأت المعركة. وصل الله العلي القدير إلى نجدة قوات الأرمن. ورغم كون عددهم أقل من 2,000 مقاتل، إلا أنهم أفلحوا في قتل العديدين بالسيف. كانت أيام شديدة البرودة والجو القارص أصلاً اشتد في ذلك اليوم وحُرم جيش إسماعيل من قوته الباسلة لأن عناصره أمضوا الليل فوق الثلوج فوقوا فريسة السيوف. أما الذين أُقذوا من ضربات السيف، فقد سقطوا في نهر يراسخ المتجمدة مياهه بسبب برودة الطقس فتحطم الجليد مباشرة ومات أغلبهم غرقاً. تمكنت جماعة صغيرة قوامها حوالي 300 شخصاً من الهرب واللجوء إلى حمى السيدة شوشان (أميرة أرمنية- المترجم) وكان الأمير آشوت بن سمبات يلاحقهم لقتل الفارين بالسيف. فتقدمت السيدة شوشان (51) وبرجاء حار أنقذتهم وهم عراة حفاة وجرحى وحملت هؤلاء وضمت جراحهم وغطت أجسادهم بالثياب وقدمت لهم خيولاً من حظيرتها وأرسلتهم إلى أمير الإسماعيليين عبد الملك فبعث لها الأمير شكره الجزيل وهدايا نفيسة.

أرسل الجنود الأرمن المغتنيين بغنائم العدو الكبيرة بشرى انتصارهم إلى ملك الروم مع هدية من هذه الغنيمة هي عبارة عن خيول عربية وأنوف الجثث المجدوعة. بعد حصوله على هذه الهدية، عبّر الإمبراطور عن امتنانه الكبير للخالق وشكره لسمبات والأمراء وقواتهم. وبناء على سنن المملكة، أمر الإمبراطور منح الأمير سمبات رتبة الكوروبالات وبعد ذلك سار على رأس جيشه نحو منطقة تايك (52) ودخل إلى قلعة تدعى طوخارك لأنه كان يتحاشى أبناء إسماعيل.

قام العدو النهاب بهجوم آخر على الجيش (الأرمن) المتواجد في مقاطعة باسفرجان (53) والتقى الجيشان في قرية كوكانك في مقاطعة الرشتونيين وكان الصدام. وعندما رأوا أنهم (الأرمن) قليلو العدد، هاجموا بقوة فأشفق الله عليهم في هذه المرة أيضاً وقام بدعمهم مباشرة ووصل إلى نجدتهم. فقاموا (الأرمن) بقتل الجميع بالسيف ولم يتمكن سوى 280 منهم على الفرار واللجوء إلى كنيسة. ولأنهم لم يجدوا أية وسيلة أخرى، فكروا (الأرمن) في إضرام النار في الكنيسة إلا أن أمير باسفرجان سمبات بن

الأمير آشوت لم يسمح بذلك العمل القاصر. كان يقول: “معاذ الله أن نهين بيت الرب المجيد الذي منحنا نصراً كهذا”. فعين حراساً حتى يُكرههم هذا المكان المقدس على الخروج منه. بعد برهة، طلب أحد القواد الإسماعيليين، الذي كان رئيسهم، الصلح لنفسه كي لا يقتلوه ولجأ إلى جيش الأرمن قائلاً: “سمعنا أن أمة المسيحيين رحمة وعندما يرون أحدهم في آسى يشفقون عليه ويرأفون به. لذلك، نرجو منكم أن تشفقوا علينا وتحافظوا على أرواحنا وخذوا الغنيمة منا”. فرد عليه القائد سمبات قائلاً: “تعلمنا من الرب أن الرحمة يجب إظهارها للرحماء فقط أما أتم، فإنكم لا تستحقون الرحمة ولن نقوم نحن بذلك”. وعندما سمع الإسماعيلي هذا الكلام قال: “إعفوا عني على الأقل ولا تقتلوني وسأسلم الباقين لكم لقاء ذلك”. فتعهدوا في عدم قتله فدخل إلى زملائه وقال: “لا نفع يرتجى من بقائنا هنا لأنني أرى أنهم غير رحيمين تجاهنا. لذلك، لنخرج إليهم من هنا فإن قتلونا فإننا سنموت لأن مشرّعنا محمد تعهد بإدخالنا الجنة. أما إذا حافظوا على حياتنا، فإننا سنستمر على العيش”.
تشجع الجميع من هذه الكلمات وخرجوا من الكنيسة وتم قتلهم بالسيف. أما الشخص الذي وعدوه بعدم قتله، فقد رموه في البحر حياً بينما قاموا هم بتوزيع غنيمة المقتولين والانتشار نحو جهات شتى.

الفصل التاسع

بعد ذلك، وعندما علم الأمير الإسماعيلي عبد الملك نبأ اندحار قواته، استدعى قائد جيشه محمد وأمره بجمع جيش كبير للهجوم على بلاد الأرمن وقتل السكان وأسرههم. فجمع هذا جيشاً على وجه السرعة وهدد متبجحاً أنه سينفذ ما أمر به أميره. وعندما سمع أمراء أرمينيا بمجيء العدو القوي، طلبوا من ساهاك (54)، كاثوليكوس الأرمن، اصطحاب بعض مطارنة البلاد لاستقبال قوات الإسماعيلي وعقد اتفاقية سلام مع قائدهم والقبول بوزر الخضوع لهم. فمشى الكاثوليكوس عبر بلادنا محمياً الجميع بتقبيل يده اليمنى ومباركاً الرعية التي إئتمت إليه مسلماً إياهم لرحمة الرب. وبعد مروره من خلال نزول عديدة، وصل إلى مدينة حرّان حيث مرض. وقبل وصول القائد محمد اقتربت نهايته، التي لا عودة عنها، وكتب كلماته الأخيرة التالية إلى قائد الأمير الإسماعيلي قائلاً: “بُعثت إليك من قبل أمتي لتبيان أفكارني أمامك وما يرجوه الأمراء والسكان الأرمن منك. لكن، الذي هو مصدر الحياة قد أخذني إلى جواره قبل الأوان ولم

يسمح لي بمقابلتك والحديث إليك. لذلك، أستحلفك بالله الحي وأعقد معك عهداً، كما أقام جدكم إسماعيل عهداً مع الله، كي تمنح شعبي السلام وسيخضع لك بتقديم الجزية. إحتفظ سيفك من إراقة الدماء ويدك من عمليات سلب الغنائم وعندئذ سيقومون (الأرمن) بإطاعتك بكل قلوبهم. أما بالنسبة لديننا، إمنحونا فرصة للمحافظة عليه لأننا اعترفنا به وآمنا بتعاليمه واطلب من جماعتك ألا يعذبنا أحد بإكراهنا على الارتداد. فإن نفذت رجائي هذا، فإن الرب سيعزز حكمك ويحقق رغباتك ويطلب من الجميع الخضوع لك. أما في حال عدم رغبتك في سماع كلماتي ومهاجمتك لبلادي، فإن الله سيشتت مآربك ولن يثبت أقدامك وسيقلب من أفئدة أفراد جيشك كي لا تنفذ إرادتك ويسبب لك مشكلات في كل حذب كي لا يترسخ حكمك. لذلك، لا تهمل رجائي كي تحل عليك بركاتي”.

عندما وصل محمد إلى حران روى له عن رجاء كاثوليكيوس الأرمن مؤكداً على أنه لم يُدفن بعدُ فقد توفي حديثاً وسلموه رسالته الموجهة له. عندما علم بذلك، قام مباشرة واتجه إلى هناك ووقف قرب جثة المتوفي وقدم تحية الاحترام حسب تقاليدهم. وكما علمنا من أشخاص صادقين، كرر محمد الكلمات التالية مرتين وثلاثة مرات ممسكاً بيده كأنه إنسان حي يرزق قائلاً: “تعرفت على حكمتك من خلال رسالتك التي قرأتها لأنك راع شجاع مهتم برعيته فهرعت إلى إلقاء سيفي المتجربط. أوافق على إبعاد سيفي عن الأشخاص الأبرياء. لذلك، سأحقق كل شيء رجوته مني ولنزل بركاتك النقية علي. وإن لم أنفذ أية من كلماتك، فلتحل علي جميع اللعنات التي قرأتها في رسالتك”. فذهب إلى نزله بعد تلفظه بهذه الكلمات. أما الأشخاص الذين خرجوا مع الكاثوليكيوس ساهاك من بلاد الأرمن، فقد اصطحبوا جثته ووضعوها في تابوت باهر وساروا به إلى المقبرة. لقد حصل هؤلاء على عهد تحريري (55) من القائد الإسماعيلي ثم قفلوا عائدين إلى بلاد الأرمن. وعندما رأى سكان بلادنا كلمات العهد والوعد المحررة، صدقوا بما جاء وخدموا الإسماعيليين كالعبيد.

عاد القائد محمد على رأس جيش كبير إلى بلاد الأرمن بعد فترة سلام استمرت 3 سنوات في السنة 18 من حكم الأمير عبد الملك ولم يذكر أحد تفصيلات ما جرى لجيش الطاجيك في ناحية فارتاناكرت وكان مستمراً في الحفاظ على العهد الذي قطعه شخصياً لكنه مع ذلك كان يراقب أمراء أرمينيا سراً. توفي عبد الملك بعد أن استمر في الحكم طوال هذه المدة.

شروحات

- (45) أصبح سمبات بقراتوني أمير الأرمن في عام 693م بعد نرسيه كامساركان في السنة التي عاد العرب لتنظيم اجتياحات جديدة ضد أرمينيا.
- (46) تؤكد هذه السنة بشهادات المصادر الأجنبية. وبناء على المؤرخ العربي من القرن 13م ابن الأثير، أخضع محمد بن مروان أرمينيا في عام 82 هـ=701-702م.
- ابن الأثير، الجزء 4، ص 84.
- يشهد المؤرخ البيزنطي ثيوفانس أن العرب احتلوا أرمينيا الرابعة في تلك السنوات وكان أميرها يدعى فاهان.
- كرونوغرافيا ثيوفانس، بون-1839، الجزء-1، ص 569، بالألمانية.
- (47) محمد بن مروان هو شقيق الخليفة محمد بن عبد الملك الذي عُين نائباً للخليفة في عام 693م في ولاية أرمينيا العربية (أرمينيا الأصلية وجيورجيا الغربية وبلاد آران ومناطق بحر القزوين وباب الأبواب) والجزيرة العليا وأذربيجان. بدأ العرب باحتلال الهضبة الأرمينية في عام 792م. ظل محمد بن مروان في هذا المنصب حتى عام 709م.
- (48) بناء على المؤرخ الأرمني الشهير ليو، كان هذا الموقع دير القديس كريكور في مقاطعة باكريفاند.
- ليو، تاريخ الأرمن، الجزء 2، ص 325، بالأرمنية.
- (49) كان أبو الشيخ بن عبد الله 701-703م أول حاكم عربي على أرمينيا تحدث عنه ابن الأثير (ابن الأثير، المجلد 4، ص 84) وقال أن الأرمن قاموا باغتياله. يدعوه المؤرخان الأرمينيان القروسطيان أصوغنيك وهوفهاثس دراسخاناكيردتسي بـ "عبد الله" فقط. ومن المحتمل أنهما شخصان عربيان مختلفان.
- (50) كما يظهر، اجتمع الأمراء غير الراضين في باسفرجان وساروا شمالي بحيرة فان ووصلوا إلى قرية أوغايو في مقاطعة ماسياتسودن الأرمينية واتجهوا من هناك نحو الشمال-الغربي ووصلوا إلى قرية أوري. جرت المعركة قرب نهر آراكس (يراسخ) في قرية فارداناكيرت.
- (51) يبدو أن شوشان كانت أميرة من سلالة الكامساركانيين الأرمينية ومعاملتها للعدو مثال استثنائي للشهامة.

(52) كانت مقاطعة تايك منزوية في القرن 8 م رغم وجودها في ولاية أرمينيا رسمياً لكنها في الحقيقة كانت منفصلة عن بقية المقاطعات الأرمينية وخاصة أن المذهب الخلقيدوني كان قد انتشر بين سكانها الأرمن. وكانت دايك ملجأً مناسباً للأمراء الأرمن الثائرين لأنها كانت بعيدة عن متناول يد قوات الخلافة العربية. وكون المقاطعة قرب الحدود البيزنطية، كان الاتصال مع بيزنطة يسيراً.

(53) رغم نية الأمراء الابتعاد فقط عن الأراضي الأرمينية المحتلة من قبل العرب في بادئ الأمر، إلا أن القوات العربية قامت بملاحقتهم وأكراهتهم على القتال في فارداناكيرت. بعد ذلك عمّت الثورة ضد العرب في جميع أنحاء أرمينيا. ومن الغرابة بمكان، أن المؤرخين الأرمن لا يذكرون قتل الأرمن للحاكم العربي في أرمينيا أبي الشيخ كما الحال عند الكوفي المؤرخ من القرن 10م وابن الأثير من القرن 13م. - ابن الأثير، الجزء 4، ص 84.

تشير الأحداث التي جرت في مقاطعة رشتونياتس إلى عزم الثوار الأرمن الكبير ضد المحتلين. (54) لعب الكاثوليكوس ساهاك دزوروبوريتسي 677-703م دوراً سياسياً كبيراً في حياة أرمينيا في نهايات القرن 8 م. بناء على بعض المعطيات، أسره الإمبراطور قسطنطين أثناء اجتياحه لأرمينيا واصطحبه معه إلى القسطنطينية وعاد إلى البلاد بعد سنتين. إلا أن المؤرخ الأرمني هوفهانس دراسخاناكيردتسي يشهد أن حاكم أرمينيا العربي المدعو عبد الله اعتقله مع أمير أرمينيا سمبات بقراتوني وسار بهما إلى دمشق مخفورين بالأغلال الحديدية لكنها قفلا راجعين إلى أرمينيا أثناء أحداث عام 703م.

(55) كانت الخلافة العربية تقدم للسكان غير المسلمين في البلدان المحتلة أوراق عهد لتحديد حقوق الأمراء ورجال الدين الإقطاعيين وغيرها من النواحي. خلا ذلك، قدّم محمد بن مروان تعهداً بالقسم مانحاً الكنيسة الأرمينية حرية العمل والعبادة للأفراد. لكن، كان هذا العقد يمنح القليل لأن الكاثوليكوس الأرمني هوفهانس أودزيتسي اتجه إلى دمشق في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز 717-720م ورجاه بتحقيق 3 مطالب:

أ. عدم إكراه الأرمن على الارتداد عن دينهم.

ب. إعفاء الكنيسة من الجزية.

ج. منح المسيحيين حرية العبادة حيثما وجدوا على رقعة الخلافة العربية.

فحقق الخليفة طلب الكاثوليكوس وقدم له عهداً موقعاً بخاتمه.

- المؤرخ الأرمني كيراكوس كانتساكيثسي، ص 68، بالأرمنية.
لا تعبر الشرائع الإسلامية بوضوح دائماً حول مسألة إعتاق الكنيسة والأديرة وأراضيها عن الضرائب لأن كل شيء نسبي في نهاية الأمر وكان على الشعوب الحصول على تعهدات مكتوبة جديدة دائماً لحل مسائل عديدة.
- آرام تير غيفونديان، الوضع الحقوقي للشعب الأرمني تحت حكم الخلافة العربية، مجلة "لراير"، العدد 4، 1975، بالأرمنية. انتهت الشروحات

الفصل العاشر

بعد ذلك، خلفه الوليد أميراً للإسماعيليين و(حكم) مدة 10 سنوات و8 أشهر ثم توفي.
كانت أخلاقه كالتالي: فكّر في السنة الأولى من حكمه في إزالة عائلات الأمراء الأرمن مع قوات فرسانهم ثاراً من الكيوروبالات سمبات قائلاً: "هؤلاء عثرة لحكمنا وموضع ريبتنا" (56). وبينما كان الإسماعيليون يضمرون الشر في قلوبهم، كتب سمبات، الذي تحدثنا عنه، في هذا الوقت بسرعة إلى ملك الروم وطلب منه قوات دعم. وافق الإمبراطور وحقق رجاءه ووضع جيوشاً جرارة تحت إمرة أحد قواده وأرسله لمساعدته. وانضم سمبات إلى قائد الروم ووصل إلى قرية تدعى دراشبيت في مقاطعة فاناند وأقاما معسكرهما هناك.
عندما سمع محمد، أمير جيش الإسماعيليين حول ذلك، جمع جيشه وباستعداد كبير قام لمحاربتهم. وعندما اقترب الطرفان من بعض، قام كل جيش بترتيب كتائبه الواحدة تلو الأخرى وجبهة بعد أخرى واستعداً للقتال. حلّ غضب الله عليهم بسرعة فضعت أفئدة جنود الروم ولجأوا إلى الفرار وسقط معسكرهم المحصن فاشتد عود الأعداء وقاموا بقتل العديدين بالسيف. ويقال أن 50,000 عسكرياً قتلوا وهرب الباقون وجمع محمد جيشه وعاد إلى دفين (ديبل عاصمة أرمينيا).
عندما رأى محمد كيف يقوم الأمراء الأرمن بقيادة قوات الروم، قرر تنفيذ مآربه الخبيث ذاته. فأمر شخصاً يدعى قاسم، كان قائداً قرب مدينة نخيجيفان (نشوى-المترجم)، استدعاء الأمراء الأرمن مع فرسانهم

بذريعة إجراء إحصاء واستلام الههود (57) ثم العودة. فصدّق هؤلاء مكرهم الخفي بسذاجة ووصلوا إلى هناك في الحال. أمر قاسم بتفريقهم إلى قسمين: جمعوا بعضهم في كنيسة نخيجيفان وأرسلوا الباقين إلى ناحية خرام ورموهم في كنيستها وعينوا الحراس حولهم وبدأوا يفكرون في كيفية قتلهم. بعد جمعهم أخرجوا الأشراف من المعتقل. أما الباقون، فقد قاموا بإضرام النار فيهم وحرقتهم أحياء تحت أقواس الهيكل الإلهي. وعندما أيقن المعتقلون أنهم أمام تهديد شرس وإنهم محرومون من أية مساعدة إنسانية، استعاذوا بالله فقط كي يساعدهم قائلين: “أنت الملاذ الوحيد للمهمومين والواقعين في المهالك، أنت ناصر المعذبين، تعال لمساعدتنا ونجنا من الأخطار التي تحيط بنا ومن الموت الزؤام الذي بانتظارنا لأن قيظ لهيب النار يشتد حولنا بسبعة أضعاف مقارنة باللهيب البابلي. وكما أرسلت الملائكة الحامية لمساعدة الأطفال الثلاثة، لا تهملنا من عطفك لأننا خدامك أيضاً رعم أننا اقترفنا آثاماً عديدة ياغضب إنسانيتك الحلوة. تذكر حنانك تجاه خدامك أثناء غضبك وخاصة أن هذا المكان المقدس المجد باسمك تحول إلى قبر لنا. لذلك نضع أرواحنا وحياتنا وأجسادنا بين يديك”. وبعد ذلك، غادر الجميع هذه الدنيا. أما الأمراء الأحرار، فقد أُلقي بهم في السجن مقيدين بأصفاد وعرضوا لإهانات وتعذيبات لا يمكن تحملها وطلب منهم الإساعيليون الكثير من الذهب والفضة لقاء وعد بتحريرهم إن قاموا بتبليتها. وكان هؤلاء يقدمون وعوداً كاذبة بمنح تعهدات تحت القسم. أما الأمراء، الذين كانوا قد أخفوا كنوزهم الكبيرة المكسدة تحت البحر وعلى اليابسة، فقد قاموا بوضعها بين يدي العدو آمليين إنقاذ أرواحهم. وعندما حُرِّموا من كنوزهم، قام هؤلاء الطغاة بإعدامهم بتعليقهم على المشانق. استشهد هناك سمبات بن آشوت من عائلة البقرادونيين وكريكور وكوريون من عائلة الأردزونيين وفاراز-شابوه وشقيقه من عائلة الأمدونيين وغيرهم العديدين من أمراء أرمينيا وليس بوسعي تعدادهم الواحد بعد الآخر. ويسبب حرمانهم من الحياة، لم يبقَ من يرثهم في بلادنا. فظلت بلادنا أرمينيا مفرّغة من عائلات الأمراء كالخراف بين الذئاب. سبب الأعداء شرواً شتى وكانوا يوقعون سكان بلاد الأرمن في مصائب عميقة شريرة إلى درجة أن صراخهم ونحيبهم بسبب الضيق المستمر كان يصل إلى كبد السماء.

أما الكيوروبالات سمبات والمرافقين له من الأمراء، فقد ابتعدوا عن بلادنا وعبروا الحدود وطلبوا من ملك الروم منحهم مدينة للاستيطان فيها ومراع لقطعان أغنامهم فقدم لهم مدينة بويت الواقعة على أطراف بلاد إيغير فسكنوا فيها مدة 6 سنوات.

بعد اقتراح الإسماعيليين لجميع هذه الشرور، وصلت شكوى بلادنا إلى أذن الأمير الإسماعيلي المدعو وليد فأرسل إليه (محمد) فرماناً على وجه السرعة وطلب منه المثل أمامه وبعث عبد العزيز عوضاً عنه، الذي كان أصماً، وكان شخصاً عميق الفكر حكياً وقاصاً يتحدث بالأمثال. بعد تثبيته في الحكم، كتب عبد العزيز رسالة إلى أمراء أرمينيا لإقناعهم بالعودة إلى بلادهم وقدم لهم عهداً مع القسم (58) حسب عاداتهم. وعندما تأكد هؤلاء من صحة تعهده، احتلوا المدينة التي كانوا يقطنون فيها ونهبوا كنوزها وآنية كنيستها وعادوا إلى أرمينيا مبتعدين عن إمبراطور الروم. أما الإمبراطور، فقد تألم عند سماعه لتلك الشرور، فدعا مطارنة الكنائس والأساقفة الآخرين وأمرهم بكتابة رسالة لعنة لقراءتها أثناء قداس العيد من كل سنة وكان ذلك سبب زوالهم.

بعد تثبيت سيادته على بلاد الأرمن، قام الإمبراطور بتهدئة أحوالها تجاه جميع الهجمات وخفف من سفاهة أبناء إسماعيل المتجربة بعد تعنيفهم بشدة. ثم أعاد بناء مدينة ديبيل وتوسيعها وتقويتها أكثر من ذي قبل وحصن بواباتها وحفر خندقاً حول سورها لغمره بالماء من أجل سلامتها. تحدث عبد العزيز عن نفسه قائلاً: “جرى تدمير ديبيل للمرة الأولى (59) من قبلي فأعيد الآن تشييدها”.

الفصل الحادي عشر

حرض قلب القائد محمد على مهاجمة بلاد الجينيين ثانية وطلب من أمير الإسماعيليين جيشاً كبيراً لإخضاع ملك تلك البلاد. فجمع هذا (الخليفة) جيشاً جراراً يقدر بـ 200,000 وتحرك محمد من منطقة دمشق شرقاً بصحبة الجيش وعبر آشور وبلاد الفرس وخرسان ووصل إلى بلاد الجينيين وأقام معسكره على ضفة أعظم نهر يدعى بوتيس. كتب رسالة إلى ملكهم قائلاً: “لماذا تعارضنا ولا تدخل تحت طاعة أميرنا بينما ترتعد منا فرائص جميع الأمم؟ لدعم من تلجأ ولا تطيعنا؟ هل تعتقد أننا بناتك اللواتي تتبجح أمامهن؟ لذلك، أعلم أنه في حال عدم دخولك في خدمتنا سأحيل بلدك إلى يباب بعد حرمانها من سكانها وأنهى مُلكك. إبعث لي بردك على وجه السرعة ولا تؤخره بإهمال”. عندما قرأ الملك

جينباكور (60) الرسالة، دعا مستشاريه وحراسه للتشاور وفي كيفية الرد. بعد التشاور فيما بينهم، قدموا الرد التالي: "هل أنت أقوى من جميع الملوك الذين سيطروا على العالم منذ البداية وحتى يومنا؟ لماذا لم يُفلح ملك بابل كذلك (ملوك) المقدونيون والفرس في بسط سيادتهم علينا؟ إعلم، أنك أكثر سفاهة ووقاحة من أي كلب وإن مناخيرك تجذب الشهوات الحيوانية لأن شهرة عذراواتنا الجميلات حرّضت رغباتك الشريرة كي تضحي بنفسك وأرواح الجنود الذين وصلوا بصحبتك وكأن دمشق لا تحوي مقابر لتدفنوا فيها. لذلك، إعلم، أن بلادنا لم تخضع لأحد وبدوري لن أقبل بذلك. أما إن تبغي الهدايا مني، فإنني سأقدمها لك حسب السنة الملكية ونقل عائداً إلى بلادك بسلام".

أرسل إليه محمد ثانية قائلاً: "قدّم لي 30,000 فتاة وسابتعد عنك بسرور وإلا سأقوم بمحاربتك". وافق الملك على طلبه وأرسل إليه قائلاً: "إبق في معسكرك حتى نحقق طلبك". وطلب من قاداته تجهيز عربات مغطاة وتحميلها بمقاتلين فرسان مدججين بالسلاح جيداً عوضاً عن الفتيات لإيقاعهم في شركه. وصلوا قرب حافة النهر وعسكروا هناك. وكانت العربات تحمل ما ينوف عن 40,000 فارس وأقام جينباكور مخيمه غير بعيد عنهم مع بعض الجنود القليلين وبعث يخبر القائد محمد: "تعال وخذ الـ 30,000 فتاة اللواتي قمتُ بانتقاهن لأشرافكم من جميع أصقاع مملكتي. اصطحب معك أشراف جيشك بعدد الفتيات واعر النهر كي أقدم لكم فتياتي بعد إجراء القرعة كي لا تدب الفتنة في صفوف جيشك". أرسل الملك قوارب إلى الضفة الأخرى كي ينتقل جميعهم دفعة واحدة. وبسذاجة كبيرة، انتقى هؤلاء 30,000 شخصاً من كبار الجيش وعبروا النهر. وبعد وصول الجميع، أمر الملك بمهاجمة الجيش الإسماعيلي. وعندما اصطدم الطرفان، خرج الفرسان المتخفين في العربات وقاموا بتطويقهم وقتلهم لدرجة أن لا أحد ظل على الحياة حتى الفارين منهم بعد قطع حبال القوارب خلا محمد الذي أفلح في الهرب مع بعض فرسانه وعبروا النهر مستندين على قوة خيولهم. وهكذا، ذهبوا إلى بلادهم يلفهم العار بعد تعرضهم لاندحار شنيع من قبل الملك ولم يتجاسروا على العودة ثانية ومحاربة بلاد الجينيين. أما (الأمير الإسماعيلي) فقد عاش 10 سنوات و8 أشهر ثم توفي.

.....

شروحات

(56) باحتلالها لأرمينيا، كانت الخلافة الأموية تتطلع إلى التخلص من أشراف الأرمن الإقطاعيين لأنها لم تتأقلم مع وجودهم. فقبل وصولهم إلى أرمينيا، فتح العرب البلدان التي كان جميع سكانها من المسيحيين

كمصر وفلسطين وسوريا وشمالى ما بين النهرين ولم تكن فيها طبقة أشرف إقطاعيين لأنها اضمحلت وزالت طوال قرون الحكم الروماني والبيزنطي وتحولت الأراضي إلى إقطاعات الإمبراطورية. وكان عدد أمراء الأقباط المسيحيين من السكان الأصليين في مصر والسريان في سوريا قليلاً لدرجة لا يمثلون قوة سياسية. لذلك، أفلح الخلفاء بيسر في الاستيلاء عليها وجعلها ملك الدولة. طبعاً، تصادم العرب في إيران مع مقاومة الإقطاعيين المحليين. وبما أن بعض هؤلاء اعتنقوا الإسلام ديناً بعد بضعة عقود تدريجياً، ظهر اتفاق من نوع معين بين المحتلين والخاضعين.

كانت الحال مختلفة تماماً في أرمينيا لأن الفاتح العربي تصادم مع أشرف إقطاعيين أقوياء قومياً ودينياً وثقافياً ولم يفكروا قط في الخضوع للمحتلين. ولم تكن هذه ظاهرة مألوفة بالنسبة للخلافة وكانت المحاولة الأولى الأكثر فظاظاً من قبل الخلافة لتدمير سلالات الأمراء الأرمن مع فرسانهم. استغل حاكم أرمينيا الدموي محمد بن مروان هجوم القائد سمبات بقراتوني وثورة أرمن دراشبيت المظفرة ضده، وباشر في تحقيق مخططه القديم-الجديد في إزالة عائلات الأمراء الأرمن. ويقدم المؤرخون الأرمن والبيزنطيون والسريان وحتى العرب وصف العمليات البربرية التي قام بها محمد بن مروان في نشوى وخرام. يصف المؤرخ العربي اليعقوبي من القرن 9 م على سبيل المثال نشاطات هذا الحاكم العربي بهذه الكلمات: “اجتاح أرمينيا وكان سكانها قد رفعوا راية الثورة فقام بالقتل والأسر. ثم بعث رسالة إلى أشرف البلاد الذين يسمون الأحرار وقدم لهم كتاب عهد ووعدهم بتكريمهم. فاجتمعوا في كنيسة من منطقة أخلاط وأمر بجمع حطب حولها وأغلق أبوابها وأشعل النار فيها وأحرق الجميع حتى الموت وهم أحياء.” - اليعقوبي، الجزء 2، ص 272، بالعربية.

إلا أن الخلافة سرعان ما غيرت سياستها. وتشير وتيرة تطوّر الأحداث أنه، رغم تكبّد طبقة الإقطاعيين الأشرف الأرمن لخسائر فادحة، إلا أنها استمرت على الحياة حتى إعادة استقلال البلاد في النصف الثاني من القرن 9 م.

- آرام تير-غيفونديان، حقوق الأمراء الأرمن الإقطاعية بين القرنين 7-9م، مجلة “باتماناسيراكان هانديس” العدد 4، 1974، بالأرمنية.

(57) “هروك” كلمة يونانية تعني مرتّب، معاش. هذا المبلغ كان يستلمه الأمراء الأرمن من الخلافة العربية للمحافظة على قواتهم.

(58) كان العرب منذ بداية الفتوحات يقدمون عهداً لبعض الأمراء الإقطاعيين معترفين بحقوقهم على أراضيهم. وبناء على البلاذري، قدّم القائد عياض بن غنم لبطريق أخلاط الماميكونيان عهداً معترفاً بحقوقه في إقطاعياته. قدّم حبيب بن مسلمة بدوره سلسلة من العقود لبطريق منطقة الموكاتس وأردزروني بطريق باسفرجان وبقراتوني بطريق باكريفاند وغيرهم.

عندما يعود الحديث حول ملك الإقطاعات في التشريع الإسلامي (الفقه)، يُذكر أن صاحب الأرض المسلم يدفع العشر. كتب الحقوقي المسلم الشهير أبو يوسف أن غير المسلم (الذي) يمكن أن يحصل على ملكية الأرض لا بدفع ضريبة العشر الخفيفة، بل الخراج. وفي مثل هذه الحال يحصل غير المسلم على عقد خاص. وكان الأمراء الأرمن أصحاب إقطاعاتهم بعد الحصول على مثل هذه العقود. كتب الجغرافي العربي من القرن 10م ابن حوقل حول الأمراء الأرمن قائلاً: "كانت لهم عقود منذ البداية". ثم استطرده قائلاً: "إن الأمويين والعباسيين قدموا لهم عقوداً يعترفون بملكيتهم لأراضيهم شريطة دفع الخراج".

Opus Geographicum auctore Ibn Haukal, Lugduni Batavorum, 1933, II,
343.

كانت عقود حاكم أرمينيا عبد العزيز تضمن حقوق الأمراء الأرمن على أراضيهم وراثياً.
- آرام تيرغيفونديان، خراج أرمينيا أثناء الحكم العربي، أكاديمية علوم أرمينيا، مجلة "لرابير"، العدد 2، ص 52-60، 1969، بالأرمنية.

M.van Berchem, La propriete territoriale et l'impot foncier, Geneve-1884,
p.45-59.

(59) من المحتمل تعود تفصيلات وصف حاكم أرمينيا عبد العزيز 705-709م إلى اجتياح عام 640م واحتلال ديبيل في 9 تشرين الأول. لذلك، نعتقد أن عبد العزيز، الذي كان في 12 من عمره، ولد في عام 628م وأصبح حاكم أرمينيا وهو في 77 من سنه.

(60) "جينكابور" في التاريخ الأرمني هو لقب ملك الصين. أما حول صدام العرب مع الصين، ليس هناك أي ذكر لدى المؤرخين العرب. كذلك، ليست لدينا أية معلومات حول تواجد محمد بن مروان في آسيا الوسطى أو محاربة ملك الصين. ومن المحتمل يخلط غيفوند بين محمد بن مروان وقتيبة بن مسلم فاتح هذه المنطقة. وبعد احتلاله لمناطق آسيا الوسطى، رغب قتيبة في احتلال الصين فعبّر النهر (لا يذكر اسمه) في عام 96 هـ = 714-715م. وعندما اقترب من حدود الصين، طلب منه ملك الصين

إرسال وفد لإعطائه معلومات حول العرب. فأرسل قتيبة الوفد وطلب منه إعلام الملك أنه لن يتعد حتى تتطأ قدماه أرض الصين ويحصل على الجزية. استقبل الملك الوفد واقترح عليه الابتعاد عن حدود الصين. وعندما أعلم الوفد حول رغبة قائدهم، وافق الملك على طلبه وقدم الذهب وخبوط الحرير في إناء فخاري كجزية. وضع قتيبة رجله على تلك الأرض وقبل بما أرسل له كجزية وابتعد.

- الطبري، الجزء 4، ص 500-503. انتهت الشروحات

الفصل الثاني عشر

ورث السلطة بعده سليمان الذي (حكم) مدة سنتين و8 أشهر وتوفي وكانت أخلاقه كالتالي: جمع في السنة الثانية لحكمه قوات كبيرة وسلمها للقائد مسلم (61) وأرسله إلى أبواب قزوين. وصل هؤلاء وقاوموا جنود الروم المتواجدين في مدينة دربند وسددوا لهم ضربات ثم قاموا بملاحقتهم وهدم سور القلعة بعدئذ. وبينما كانوا يهدمون السور، وجدوا جداراً كبيراً في أساساته وحجراً دؤنت عليه الكتابة التالية: "شيد الإمبراطور ماركيانوس المدينة وهذه الأبراج بإنفاق ثلاثينات كثيرة من كنوزه وسيقوم أبناء إسماعيل بهدمها وإعادة بنائها بكنوزهم". وعندما عثروا على هذه الكتابة، توقف الإسماعيليون عن هدم السور وعينوا معلمين لإعادة بنائه.

سار مسلم بصحبة جيشه الجرار وعبر ممر جورا (باب الأبواب أو دربند- المترجم) واجتاح بلاد الروم وأقام معسكره قرب مدينة طاركو الرومية. وعندما رأى السكان العدو الكاسر، الذي جاء ضدهم، أعلموا ملك الخزر على وجه السرعة الذي كان يدعى الخاقان فخرج هذا وعسكر أمامه مصطحباً جيشه الكبير ومحاربيه العالقة الذين عمت شهرة بسالتهم الكبيرة بين جميع الأمم. استمر الصراع بين الطرفين أياماً طويلة لا على مستوى القوات، بل في حلبة المصارعة. وكان الخاقان يتماهل في خوض الحرب منتظراً وصول ألب طارخان الذي دعاه إلى مساعدته. وعندما رأى مسلم جموع هؤلاء الهائلة، ارتبك وتردد في إيجاد حيلة للتخلص منهم. فأمر بإضرام المعسكر بنار قوية وترك جموع السرايا والخدم والخدمات خلفه

واتجه نحو جبل القفقاس وفتح الطريق أمامه بتقطيع أشجار الغابات وبالكاد أفلح في التخلص من يد العدو. وبهذه المهانة قفل راجعاً من بلاد الروم مطأطأ الرأس. توفي سليمان بعد القيام بكل ذلك.

الفصل الثالث عشر

بعد ذلك، ورث عمر (62) الحكم وعاش سنتين و5 أشهر ثم توفي. يتحدثون عن هذا أنه كان الأشرف بين أفراد بني قومه فقد أعاد الأسرى الذي أسرهم محمد في بلاد الأرمن بعد حرق أمراء بلادنا أحياء. وكان قد احتل قلاعاً عديدة جداً وأسر رجالاً ونساءً عديدين. وعندما تعززت سلطة عمر، أعتق جميع الأسرى و(أرسل) كلاً إلى موطنه وعمم السلام في البلدان تحت حكمه. كتب عمر هذا رسالة إلى ليو (63) إمبراطور الروم كي يتعرف على طبيعة إيماننا. وكانت تحوي مسائل عديدة (64) أدونها بإيجاز كالتالي:

“باسم الله،

من عمر أمير المؤمنين إلى ليو إمبراطور الروم،
رغبنا مرات عديدة في معرفة رأيكم حول مبدأ إيمانكم وماذا تعتقدون، إلا أنه لم تنسَ لنا فرصة مناسبة للاطلاع عليه. لذلك، قل لي بشكل أكيد لماذا قال المسيح لتلاميذه: “جئتم عراة وستعودون عراة؟” (65). أو لماذا لا تقبل بالذي قاله المسيح عن نفسه (وترغب) في فحص كتب الأنبياء ومزاميرهم كي تجد شهادات حول تجسد المسيح بين دفتيها ووقعت في حيرة وترددت ولم تعتبر شهادة المسيح عن نفسه كافية بل آمنت بأقوال الأنبياء؟ لكن، يستحق المسيح الإيمان فقد كان قريباً من الله ويعرف نفسه جيداً مقارنة (بتلك) الكتب التي تغيرت وشوّهت (66) من قبل أم لا تعرفونهم. أو، لماذا تبررون تلك الكتب وتتبعون (أفكارها) التي تبدو لكم قريبة من الحقيقة؟ أتم تقولون أن القوانين تم أسرها مرات عديدة وأضعها بعض أبناء إسرائيل الذين يعرفونها ويقومون بقراءتها. كانت هناك أوقات، لم يكن لديهم أي شيء منها حتى أن بعض الأشخاص لاحقاً، حسب حكمتهم، قاموا بتدوينها أمة بعد أخرى وعرق بعد آخر. إلا أنهم كانوا من جسد ومن أبناء آدم ومن الممكن أن ينسوها أو يختلفوا حولها لأن الشيطان كان فيهم ويشبهونه بعدائهم. أو، لماذا لا تذكر ملكوت السماوات وجهنم والدينونة والقيامة في

شرائع موسى؟ لقد روى لكم حول ذلك هؤلاء الذين كتبوا الإنجيل بحذقهم: متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وحول المعزّي، الذي قيل عنه في الإنجيل أنه سيرسل المسيح، ليس هو سوى محمدنا. أو، لماذا انقسمت الأمم المسيحية إلى 72 أمة بعد تلاميذ المسيح؟ إنكم تساوون بين قدرة الله، التي لا مثل لها، مع ثلاثة آلهة وتحاولون تغيير جميع السنن مزاجياً باستبدال الطهور بالعماد والتضحية بمباركة الخبز والكأس بالمناولة وتعظيم الأحد عوضاً عن السبت. كيف يمكن للرب السكن في الرحم مع قاذورات الدم والجسد المختلفة؟ أو لماذا تعبدون عظام التلاميذ والأنبياء وشارة الصليب التي هي آلة (عقاب) للمدان حسب القانون كذلك الصور. يشهد النبي إشعيا حول مشرّعنا كرفيق للمسيح ومساوٍ له لأن النبي رآه في منامه كرفيق درب الواحد منها ركباً حماراً والآخر جملاً. أما أتم، فلماذا لا تؤمنون بذلك؟ أعلمني بكل ذلك كي أتمكن من فهم طبيعة عقيدتكم.”

كتب الأمير عمر الإسماعيلي أكثر من هذه الانتقادات إلى الملك ليو فاضطر الإمبراطور للرد عليه بالشكل التالي:

الفصل الرابع عشر

الإمبراطور ليو فلافيوس المؤمن بالرب يسوع المسيح إلينا الحقيقي وملك المعترفين به، إلى عمر، زعيم الساراكنوسيين،

بأية كلمات صادقة مستقيمة يمكن الرد على تلك (الرسالة) التي بعثتها إلينا وخاصة أننا تعلمنا من الله النصيحة للمعارضين بتواضع كي يتيح لهم فرصة للتوبة. لا يمكن طلب القوانين الملكية بكلمات منقّرة ورميها كالحجارة من قبل هؤلاء الذين يرغبون في معرفة الحقيقة الرائعة. ولكن، ورغم عدم احتواء بداية رسالتك على أقل قدر من الحقيقة، يتوجب علينا أيضاً إلا نقول أن عدم الصدق هو عادل لأنك تقول في رسالتك: “إننا كتبنا لكم مرات عديدة، أي لنا المسيحيين، حول السر الإلهي (67) ونرغب في معرفة ما تعتقدون حول مذهب إيمانكم.”

لم يكن ذلك ممكناً حدوثه وليس بوسع أي إمرئ إكراهنا على القيام بمثل تلك الأشياء لأننا لم نتعلم من معلمنا وربنا وضع علم لاهوتنا الوحيد أمام المتعلمين الغرباء كموضوع استهزاء وخاصة أمام أشخاص يجهلون نبوءات الأنبياء وبشارة التلاميذ. ومن عادتنا أن نوصي الآخرين بالشيء ذاته.

نعم، كتبنا لك مرات عديدة ونعيد الكتابة، إن كانت هناك حاجة، لكن حول الأمور الدنيوية فقط لا عن الموضوعات الإلهية انطلاقاً من الصوت الإلهي: “قدموا رداً لكل شيء عندما تُسألون. وإن لم يسألكم أحد، فلا تردوا عليه.” لذلك، لا نرغب في معرفة صواب رأيكم أو عدمه لأن الله هو الذي (يعلمنا). وفي هذه المناسبة فقد نصحننا أيضاً: “دققوا في كل شيء واقبلوا ما هو خير.” إذن، عندنا مؤلفات تاريخية كتبت من قبل أساقفتنا المبجلين الذين عاشوا في أوقات كان مشرّعكم محمد موجوداً أيضاً. لذلك، ليس هناك ضرورة لتعذيبك بمثل هذه المسائل. لكن، لا تعتقد أننا نخجل من لاهوتنا الرائع. إسمع! فإن أعجبك الاستماع إلي، سستمع بخيرات الأرض كما قال النبي إشعيا. إنه من الصعوبة بمكان يا رجل نفي الكذب كاملاً عندما يفكر المعارض في المعارضة فقط. ويشبه ذلك عندما يقرب إثنان من النار ويسميها الواحد النار ويقول الآخر العكس إنها ينبوع ماء فيظهر كذب المعارض بجلاء.

تقول إن ربنا قال في الإنجيل: “جئتم عراة وتعودون عراة.” إننا لا نجد هذه الكلمات في أي مكان في أناجيل ربنا مع أنها تأمرنا بالتفكير حول الموت، بل تلك كلمات أيوب عندما تعرض هذا العادل إلى تجارب شيطانية وقال: “جئت عارياً من بطن أمي وساعود عارياً من هناك. أعطى الرب والرب أخذ ليكن اسم الرب مباركاً.” لكنكم فطرتم على الكذب باستخلاص مقاطع غير كاملة من شهادات الكتب المقدسة التي لم تقرأوها ولن تقرأوها. إن المتاجرين بالرب أو الإيمان عندكم يثثرون حول ما يهمهم. ورغم أنك تتغطرس في استبدادك، إسمع ردودي.

قلت أنت أننا نجد أسراراً حول ربنا في مزامير داود وكتب الأنبياء. ليس جديداً الآن أننا لاحظنا أقوالاً تشبه الروح القدس قيلت من قبل الأنبياء. بدأت بشارة المسيحية بفضل الله وإرادته وعن طريقه بالذات تحققت وازدهرت وستزدهر أكثر بعظمة الخالق ذاته.

كتبت لي: “إنك اعتبرت كل ذلك كافياً وآمنت بها مهنلاً ما شهد يسوع المسيح عن نفسه وكتبت متردداً ومرتاباً.” ليتك تؤمن بالإنجيل، كما تقول أنت، كتاريخ ثابت ودون أغلاط عوضاً عن أي كتاب آخر. نحن لا نجد تضارباً بين القديم والجديد (العهدين) ولم يكن ممكناً أن أحد ينابيع الخير أي الألوهية تفجر الشر والخير والصدق والكذب. ولتسهيل تلقي كلمته على أمة اليهود الطاغية الجائرة، كان ينبته

هذا الشعب عبر أنبيائه كي لا يكفروا بمجيء المسيح حسب عاداتهم. أفاد الرب حول شخصه في الأناجيل وما تحدث عنه (روحياً) لا جسدياً بأفواه الأنبياء لا يتعارض مع تجسده في الأزمان اللاحقة وتكلم جهاراً. بفضل الله سنشير إلى كل شيء في حينه في هذه الرسالة.

ثانياً، كتبت في رسالتك: "كان المسيح يستحق الإيمان به وكان مقرباً من الله ويعرف عن نفسه بشكل أفضل مقارنة بالكتابات التي شوهدت من قبل أم لا تعرفها وتغيرت".

ردي هو: كان المسيح يستحق الإيمان به لا كإنسان خال عن الحكمة الإلهية فحسب، بل إنه كامل من الجهتين كرب وإنسان. أقوال الأنبياء عن الناحية ذاتها مؤكدة لا من حيث أن الناس تحدثوا عنها، بل لأن كلام الله جاء عن طريقهم روحانياً. جاءت هذه الأقوال العديدة في العهد القديم كذلك الجديد (من الإنجيل) لذلك لا تناقض بعضها.

أنت تقول أن الكتب (المقدسة) مشوهة. فإن علمكم ذلك زعيم عقيدتك فإنه نسي (ذكر) ذلك. أما إن أشار شخص آخر إلى ذلك، فإنه كذب عليكم. لذلك، إسمع وفكر جيداً. ألم يقل مشرّعك أنه يمكن برهان أي شيء من قبل شهود فقط مؤكداً على أن الشرع يأمر: "يجب إثبات كل شيء بفم شاهدين أو ثلاثة شهود". وتعلمون أن إبراهيم قبل بالبشارة حول المسيح قبل الجميع عندما قال له الله: "لتتبارك جميع أمم البسيطة عن طريق ولدك" وبهذا الأمل بارك إسحاق يعقوباً وبارك يعقوب بدوره ابنه يهوذا قائلاً:

يهوذا! سيولد منك شخص يصبح أميراً ورئيسه، حتى ظهور الآتين، هو ما ينتظره الوثنيون" (68) لأن موسى شرّع عنه وقدم وصاياه إلى يشوع وداود وسليمان والأنبياء الإثني عشر صموئيل يغيا ويغيسيه ويسايي ويريميا ودانييل ويزيكيل وأيوب العادل وزكريا بن يوحنا المعمدان. كذلك، ضف على تلاميذ ربنا الإثني عشر السبعين والقديمين والجديدين وعددهم الإجمالي 111 شخصاً. إذن، ألا تتفق مع جميع هؤلاء القديسين وأحباء الله، الذين تحدثوا حول مجيء المسيح وشهد محمدك عليهم، أنهم قديسو الله وخدامه؟ إنك تحترم رسولك محمد أكثر من الله الذي تكلم معهم وظهر كلامه عبر الجسد. لذلك، أسألك باقتضاب: أرجوك قل لي أين الحقيقة، شهادة خدام الله الـ 111 أم (رأي) معارض يكذب معتبراً نفسه من الصادقين في كلامه؟ علمكم رسولكم محمد الاعتراف بهؤلاء القديسين، خدام الله ومحبيه، لكنه لا يقبل بما تكلم عنه الله عن طريقهم وعلم الآخرين بعدم القبول بذلك.

سألتني: "كيف تبررون كتب اليهود وتقبلون (أفكارهم) التي تبدو مقنعة لكم رغم أنكم تقولون أن تلك السنن تم أسرها مرات عديدة جداً وضاعت؟ إن أبناء إسرائيل، الذين يقرأونها كانوا يعلمون بكنها

وكانت هناك أوقات لم يبق منها شيء عندهم حتى جاء بعضهم لاحقاً وكتبوا حول سلالة بعد أخرى وأمة بعد أخرى انطلاقاً من مفهومهم وإرادتهم. وكان جميع هؤلاء من جسد وأبناء آدم، الذين كانوا ينسون ولهم آراء مختلفة لأن الشيطان وأمثاله هم مقربون إليهم بعدائهم.”

الجواب: أستغرب وأستغرب ليس على كفركم فحسب، بل كيف لا تخجلون في إعلامنا تحريراً على الأخص كي تكونوا موضع استهزاء أيضاً. أتم تعتقدون أنه بوسعكم تضليلنا بكلماتنا وإنك بذكر هذه الكلمات في بداية رسالتك تعتقد وتحاول إقناعنا أنها تعود إليكم. لذلك، فإن كانت أقوالنا مقبولة عندهم، عليك أن تؤمن بها كاملة لأن لا أحد يشهد زوراً وذلك يعني القبول بقسم من هذه الشهادة ورفض الباقي. وبما أنك تجهل هذه الأشياء، إسمع وتعلم. نقول نحن أن اليهود ليسوا هم الذين خلقوا هذه الأحاديث بأنفسهم في الغربية، بل علموا عنها من القصص المؤكدة للبرانيين المؤمنين بالله كذلك عن طريق كتب أنبيائهم بالذات. كان عدد المخلوقات التي خلقها الله في الأيام الستة الأولى 22 وعدد الكتب الإلهية هي 22 أيضاً (69). كذلك، إن أحرف الهجاء عند البرانيين كذلك عندنا هي بالعدد ذاته رغم وجود 5 أحرف مكررة ولم يتحقق ذلك دون وجود سر كبير. أعلم الله هذا الشيء وحققه عبر أنبيائه كي تظهر الحقائق الكامنة فيها. وتعتبر 5 من هذه الكتب الـ 22 كتب شرعية (الكتب الخمسية) التي يدعوها البرانيون طوراً والسريان أوراتا أما نحن فنوموس. تحوي هذه الكتب طبيعة اللاهوت وخلق العالم الإلهي ووصية عدم عبادة الأصنام وعهد إبراهيم حول ولده الذي هو المسيح وأوامر شتى مختلفة حول الدينونات والضحايا كي يهجر العادات الوثنية التي كانت سائدة عندهم. تتحدث كتب يشوع والقضاة وهروت والملوك الأربعة حسب الأوقات حول خليفة الله وسلالات العاديين الحقبة التي تنحدر وصولاً حتى المسيح (وتخبرنا) عن تاريخ ملوك إسرائيل ومنهم من كان محبوباً عند الله ومن لا وانقسام الشعب (اليهودي) إلى مملكتين: إسرائيل ويهوذا بسبب آثامهم وتاريخ أسرهم. أما مزامير داود وكتاب سليمان، التي تدعى كوهيغيت وشيراتشيريم (70) عند البرانيين وندعوها نحن باريمون وسامادان، كذلك الأنبياء 12 وإشعيا ويريما ودانييل وحزقيال وجميع هذه الكتب هي نبؤات حول مجيء المسيح. لذلك، فإن قام أي يهودي بإفسادها خطأً، لما بقيت تلك الكتب كاملة لأن الأشرار كانوا عندئذ سيخفزون عددها ويجمعونها في كتاب واحد أو اثنين ومن المحتمل في ثلاثة كتب. وكان بوسعهم إزالة الملحقات لأن الشطب سهل جداً بالنسبة لهم.

أعتقد أيضاً، أنك لا تجهل عن العداء الكامن بيننا نحن المسيحيين واليهود لمجرد أننا نعترف بالمسيح الذي بشر من طرف الأنبياء كابن الله. أما اليهود، فإنهم لا يسمونه بالمسيح، بل يعتقدون أنه سيأتي. لم يؤمنوا بكتب الأنبياء، لذلك لا يعترفون بالمسيح كابن الله. إذن، كيف حدث أن خلف مفسدو الكتب مثل تلك الشهادات الثابتة التي لا يرقى إليها الريب في كتبهم أو قاموا بالإضافة إليها وخاصة أن تلك (الشهادات) لا تمت إلى أي شيء بصلة حتى وإن قام أحدهم بفرضها وخاصة على ابن الله المتجسد. إستلم جوايي الثالث. جرى أسر اليهود قبل مجيء المسيح متجسداً. إذن، كيف كان المعبد والكتب المقدسة ورجال الدين لا زالوا موجودين في عهده كما هو معروف من الكتب المقدسة وأنت بالذات استشهدت حول الرب والطهور وكل شيء قام به حسب الأناجيل؟ لم يحقق كل ذلك سوى لتأكيد أقواله عن طريق الأنبياء والإشارة إلى أنهم لا يخالفونه بل هم محبوبون وشهود ثابتون لسر كينونته الإنسانية. لم تكن كتب اليهود سوى كتب الأنبياء التي كانت موجودة حتى زمن مخلصنا بعد أسر إسرائيل ويهوذا المضاعف. ويأتي الرب بشهادات عديدة في الأناجيل لتعليم اليهود غير المؤمنين. سيقت الأمة اليهودية إلى الأسر من قبل نبوخذنصر إلا أن العناية الإلهية لم تسمح لحدث ما يجري مع الأسرى اليوم بل تم توطين الأمة بأجمعها في الأمكنة التي ترغب. وكانت الكتب بصحبتهم أيضاً وبعض الأنبياء كحزقيال الذي قال عن نفسه: “كنت في الأسر على ضفة نهر كوبار”. وقع حنانيا والأشرف الآخرون في الآتون وأصبح دانييل الكبير نبياً في بابل. وعندما وقع هناك في حفرة الأسود، جرت الأحداث مع يستير في المكان ذاته أيضاً. وبما أن كتباً كانت معهم، إسمع لروح القدس (حول ذلك) الذي يتحدث فيها حول أسر اليهود الذي لم يحدث بعد في المزمور من خلال النبي، إلا أنه ذكر الأحداث المستقبلية في المزمور دون اقتراح أي خطأ قائلاً: “كنا نجلس قرب أنهار بابل ومنتحب عند ذكر صهيون (71) وكنا نعلق أعودنا على أشجار الصفصاف لأن مستعبدنا كانوا يطلبون منا العزف والغناء. أما الذين قاموا بسلبنا، فقد كانوا يطلبون منا كلمات مباركة”.

لكن عندما تقول: “إنها كتب كتبت بحكمة الأطفال”، أعرف أنك ترغب في قبح (مسألة طبعة) عزرا الثانية. وكانت نعمة روح القدس قد حلت عليه فكتب كل شيء دون أدنى هفوة. وعندما عاد الشعب (اليهودي) كله حيث كان منتشراً إلى القدس مصطحباً معه كتبه، ظهرت هنا أعمال الله الرائعة لأنه، عند (مقارنة) الكتب القديمة مع التاريخ الذي (حرره) عزرا، لم يُعثر على نقصان.

تقول: “كانوا بشراً وبالتالى كان بوسعهم أن ينسوا”. إن الناس ضعفاء في كل شيء دائماً وقليلي العقل وعرضة للنسيان، إلا أن الخالق أبدي وعظيم في بأسه ولا حدود لحكمته وليست لديه عاهة ريبة أو نسيان وتكلم مع الناس عبر الأنبياء: خدامه. تكلم من خلال الأنبياء ولم يتركهم دون منحهم الحكمة الإنسانية. ألا تعتبر أنت رسولك محمد إنساناً وبكلماته تستخف بشهادات قديسي الله العديدين. أنت تقول: “إن الشيطان قريب من خدام الله بينما الله لا أبداً”. لكن، الشخص المنطقي يعلم أن أي إنسان لا يعرف شهادات الكتب، يقترب منه الشيطان لا من الأشخاص المقدسين والمحبوبين من الله. يكفي هذا حول الكتب.

عندما تقول: “لا نجد في شرائع موسى عن ملكوت السماوات والآخرة والدينونة والإنبعث” فإنك لا ترغب في أن تفهم أن الله يعلم الناس بقدر ما بوسعهم استيعابه من العلم الإلهي. لم يتحدث الله مع الناس عن طريق نبي واحد أو مرة واحدة فقط، كما تعتقد أنت. لقد أوصى الله الجنس البشري بكل شيء عبر موسى. لا! ذلك ليس صحيحاً، لأن ما أوصى موسى لم يوصي به الذين كانوا قبل نوح. كذلك، ما أوصى موسى لم يوصي به إبراهيم أو ما أوصى يشوع لم يوصي به موسى وما أوصى شاؤول وداود وغيرهما من الأنبياء في زمانهم لم يوصي به ليشوع. وكما قلنا سابقاً، شاء الله تعريف طبيعته وإرادته للجنس البشري تدريجياً لأنه ليس بوسع الناس إدراك عقيدته البديعة دفعة واحدة. لذلك، إن قال الله كل شيء عن طريق نبي واحد، فلماذا كان عليه إرسال أنبياء آخرين أيضاً أو سمح لهم بتشويه كل شيء كما تقول أنت ولماذا تحدث من خلال أفواههم؟ ورغم إرسال الله عقيدة بدائية فقط إلى البشر عبر موسى لا الأكل، فإنه ذكر القيامة والدينونة و جهنم. يقول حول الإنبعث: “أنظروا! أنا الله ولا إله غيري أقتل وأحيي وأضرب وأداوي ولا أحد يخلصكم مني”. أما عن الدينونة فيقول: “سأسنّ السيف كالبرق وأمدّ يميني للثأر”. كذلك، “سأطلب من أعدائي ثأر الدينونة. أما حول جهنم: “إن نار غضبي متأججة وستحرق حتى جهنم الداخلية”. لكن، قيل عن العقيدة الأكل والأكثر تطوراً علناً عن طريق الأنبياء.

تقول أيضاً، أن “متى ومرقص ولوقا ويوحنا كتبوا الأناجيل”. أعلم أنك منزعج من حقيقتنا المسيحية وتحاول أن تجد لك ريفياً في الكذب كي تقول أن الله أنزلها من السماء كما تقول أنت عن فركانك (سوء لفظ كلمة القرآن الكريم- المترجم) (72). لسنا جاهلين أن عمر وأبا تراب (73) وسلمان الفارسي (74)

كتبوا القرآن بينما أتمّ تؤمنون أن الله أنزله من السماء. لذلك، إعلم بحقيقتنا نحن المسيحيين: إن كان الأمر كما تهمنا في أن الأناجيل كُتبت من قبل بعضهم، فأى شيء يعرقلنا لإزالة أسماء مؤلفي الإنجيل ونقول إن الله أنزله من السماء. لذلك، انتبه إلى هذه الناحية أيضاً أن الله لم يشأ بالاكْتفاء بالكلمات غير المادية والأقوال المعارضة ولم يرسل ملائكته إلى البشر لتقديم النصح لهم، بل انتقى من بينهم الأنبياء وبعثهم إليهم. لذلك، وبعد أن حقق الرب ما حدده سابقاً بتحدثه عبر الأنبياء قبل أن يتجسد، وبقيناً منه أن الناس بحاجة لعونه، وعد بإرسال روح القدس إليهم كباراكغيتوس أي كعزّ لأنهم كانوا حزاني شكالي عندما سمعوا من معلمهم وربهم أنه سيتخلى عنهم. لذلك، سمى روح القدس معزياً حقيقياً لبعثه كمذكّر لجميع أقواله وأفعاله التي قام بها أمامهم والتي يجب تعميمها في جميع أصقاع المعمورة.

لذلك، لا يمكن لهذه الشتائم أن تحظى على الغفران كما قال الرب في الأناجيل: “من يشتم روح القدس لا مغفرة له”. هل يمكن أن تكون هناك شتية أكثر شراً عندما تسمون شخصاً روح القدس بجهل علم الكتب الإلهية؟ قال الرب عن روح القدس: “إسمع حتى أقواهم”. أما روح القدس، مانح السلوى، فقد قال: “إن المرسل من قبل الرب باسمي هو الذي سيعلمكم كل شيء” بينما لم يأت رسولك باسم الرب بل باسمه. ولم يتحدث روح القدس إلى الناس، بل إلى القديسين أي التلاميذ وإنك تعلم شخصياً أن رُسل الله لم يروا محمداً قط.

إذن، كما ذكرت في الأعلى، كان خالقنا يعلم العلم الإلهي بين الفينة وأخرى عبر رسله لكنه لم يقيم بكل ذلك عبر الأنبياء فقط حتى حلول العدالة الأبدية. بين الله التبدلات الثلاثة عن طريق النبي دانييل بحيث يتمكن الناس من الوصول إلى العلم الإلهي الأصدق من ظلمات الشرك إلى نور الشرائع ومنها إلى الضوء الساطع لإنجيل المسيح وبعدها من الإنجيل إلى النور الأبدية التي لا تنطفئ. أما التبدل الرابع، أو العقيدة أو الوعد، فلم ينله الناس من أنبياء آخرين، بل على النقيض من ذلك، قبلوا من المحلّص ذاته وصية عدم الإيمان بأي نبي أو مرسل غير تلاميذه.

تقول أننا إنقسمنا إلى 72 قسماً بعد تلاميذ الرب، لكن الحقيقة غير ذلك. لا تعزي نفسك بالكذب بالاستشهاد بأغلاطنا لأن حالتك هي التي تستحق الدم ولا تشبه حال خدام الله وسأبين لك سبب ذلك. إن عقيدتكم مُلك شعب واحد وبلغة واحدة ولم تظهر كما أتمّ تؤكّدون سوى في 100 سنة الأخيرة أو أكثر أو أقل بقليل (76). ورغم ذلك، ترى أن عقيدة الشعب الواحد هذه انشطرت إلى شيع عديدة في مدة قصيرة جداً (77) وحتى أن بعضها ينكر وجود الله والقيامة والنبي. هكذا ترى أن

أشياء مماثلة تجري عندهم أيضاً وخاصة أنكم أمة واحدة بلغة واحدة ولكم زعيم واحد وهو الأمير والإمام. ولولا تنظيم الإيمان المسيحي بالحكمة الإنسانية، ألن يكون غريباً أن يصبح في حال أكثر سوءاً من إيمانكم؟ مضت حوالي 800 سنة أو أقل عندما ظهر المسيح وانتشر الإنجيل بين جميع الأمم بكل اللغات البشرية من الطرف الواحد للبسيطة حتى نهايتها في بلدان الروم والرومانيين والبرابرة البعيدين. ورغم شعورنا ببعض الاختلافات، فإن سبب ذلك هو تعدد اللغات فقط. وكما قلت، إنها اختلافات بسيطة ولا عداً بينها كما هي الحال عندهم. أنت تقول أن لدينا 72 نوعاً (من الشيع). هل تعتبرنا وثنيين كهؤلاء الذين كانوا قديرين في شبقتهم ورجسين وزنادقة تجاه الله ويجاولون الاختفاء تحت اسم المسيح الأقدس بكراهيتهم وتسمية أنفسهم مسيحيين؟ لقد كان إيمان هؤلاء شتائم وغطاسهم تدينساً وبعد اهتدائهم وارتدادهم عن دنسهم، كانت الكنيسة تعمدهم كمشركين وكان الله قد قضى عليهم منذ زمن بعيد ولم يبق لهم أثر. تشكل نحن المسيحيون 70 شعباً وجميعنا نال المعمودية كضمان للحياة الأبدية المقدسة. وإن كان هناك بعض الأشخاص، الذين يفكرون بشكل مغاير إلى حد ما، فإننا (نجدهم) في البلدان القصية بين أناس مختلفي اللغات وخاصة الذين يعيشون ضمن حكمكم المستبد. لكن هؤلاء أيضاً مسيحيون ولا يحتاجون للعماد ثانية. وليس غريباً ألا يكون هؤلاء البعيدين ومختلفو اللغات جاهلين بأمانة الحقيقة كما يجب. لكن، الكتاب ذاته: الإنجيل احتفظ به كاملاً في جميع اللغات دون أغلاط. ودون ذكر اللغات العديدة، التي انتشرت من خلالها العلوم الإلهية المخلصة الرائعة، سأذكر منها القليل: أولها لغتنا اليونانية والرومانية ثانياً والعبرية ثالثاً والكلدانية رابعاً والسريانية خامساً والحبشية سادساً والهندية سابعاً وأنتم الساراكينوسيون ثامناً والفرس تاسعاً والأرمن عاشراً والجورجيون في الموقع 11 والآرانيون في 12.

إذن، انطلاقاً من قولك، (لنخمن) أن الكتب قد شوّهت في الحقيقة عند أمة أو اثنتين وهما بعيدتان عنا جداً كما هو معلوم وإنهم غرباء بلغاتهم وتقاليدهم. لكنكم أتم معتادون على القيام بمثل هذه الأشياء وخاصة الحجّاج (78) المعين حاكماً على فارس من قبلكم فقد جمع كتبكم القديمة وأضاف إليها أشياء أخرى مما كتب حسب ما يريد ووزعها على جموع شعبكم لأن إجراء مثل هذه الأشياء في شعب أو لغة سهل جداً كما جرى عندهم. وهكذا، لم يبق سوى القليل من كتب أبي ثراب لأنه (الحجاج) لم يفلح في إزالة جميعها. أما نحن، فقد جاءنا أمر مشدد من الله لعدم التجاسر للقيام بمثل ذلك. وفي حال معارضة أي شخص لأمره، فمن المستحيل جمع جميع الكتب المنتشرة بلغات عديدة وتدقيق كل واحد

منها وإيجاد مترجمين وتعيينهم كي يحذفوا من الكتب ما يرون ويضيفوا ما يروون لهم. ولا تنسى أيضاً، كما قلت أنت بالذات، أن هناك خلافات بين المسيحيين أنفسهم رغم أنها لا تدور حول المسائل الأهم. لذلك، لم تتغير كتب الأمم المختلفة حسب مشيئتها أو تحدث مثل هذه الأشياء عندنا أكانوا مسيحيين قريبين أم بعيدين. لذلك، لا تكرر أكاذيبك كي لا تحيد عن تفكيرك العادل وتجعله غير ذي قيمة. لكنني أستغرب في رفضك للأناجيل الإلهية وكتب الرسل قائلاً إنها شوّهت من قبل أشخاص بكتابة ما يودون وسأرد عليك انطلافاً من آرائك غير الثابتة. أنت تشوّه الكلمات التي تستشهد بها وتكتب كلمة الرب أو الله عوضاً عن الأب. فإن كنت تفتش عن العدل، عليك الإيمان بالكتب والاستشهاد من خلالها. وفي حال رفضها ك (كتب) مشوهة، عليك ألا تأتي بأمثلة منها. ثالثاً: يجب ألا تغير شهادتك أيضاً انطلافاً من مزاجيتك، بل عليك تقديمها كما جاءت في الكتب.

من الصعوبة بمكان لخدّام الله، الذين يطيعون أوامره، الحديث معكم لأن المشركين عندما يسمعون أسماء الأنبياء والمرسلين يتهمون بشدة. أما أتم، ومع أنكم لا تستخفون بأسمائهم، إلا أنكم تستهزئون بأقوالهم. وإلا، كيف سننصرف تجاه الكلمات التي قيلت لموسى: "أنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. تعالوا لنخلق إنساناً حسب صورتنا وشبهنا". أو، "تعالوا لنزل ونختلط بهم". أو، "أمطر الرب النار على سودوم وعمورة". جميع هذه الأقوال هي من كتب موسى التي لم تقرأها أنت ولا مشرّعك. لا تعتقد أنها قيلت للملائكة من قبل الله التي ليس بوسعها رؤيته. لا يمكننا اعتبار الكتب الإلهية دون أساس وباطلة كما تقول أنت. وبعد ذلك، تهموننا بعبادة ثلاثة آلهة. إسمع ثم أجب أرجوك. تختلف الشمس عن أشعتها رغم أنها تخرج منها وبدونها لا يمكن أن تكون الشمس شمساً. فإذا قال أحدهم إن الأشعة تولد من الشمس دون علة أو من الطبيعة الأثوية، فإنه لا يكذب. ورغم اختلاف الشمس والأشعة، إلا أن ذلك لا يعني أن هناك شمسين. ألا يبدو لك كذلك؟ إذن، إن الضوء، الذي نراه بأعيننا وهو من صنع الله، يُخلق نظيفاً من العلل ويزول ليلاً ويختفي خلف الأشياء. لذلك، عليك القبول أن الضوء الإلهي المخلوق من ذاته والمكتفي بذاته لا يكسف. اضطرت على تبيان ذلك بتقديم مثال لأنك لا تؤمن بالوصايا التي قدمها الله في الكتب، بل تعتبر مشيئتك أسمى منه وخاصة أنك تكتب حولها ما تشاء وترفض ما لا تريده وتنفي. ملعون هو ذلك الإنسان الذي يؤمن بالهين أو ثلاثة ويجب اعتبار مثل هؤلاء دخلاء وبلا مبدأ. أما نحن، فإننا نعترف بإله واحد رب السماوات والأرض وهو الأقدس والأكثر حكمة في كلامه الذي لا يشبه كلامنا الذي يظهر ثم يختفي بل إن كلامه، الذي

نحن على علم به، لا يولد كأشعة الشمس لأنه يسمو عن القدرة الإنسانية. تسميه الكتب الإلهية بـابن الله وهو ليس وليد شهوة معلولة ورغبات دنسة بل (ولد) كأشعة الشمس الضوء من النار والكلمة من الفكر. بهذا القدر بوسع اللغة الإنسانية الشرح أن كلمة الله تنبع من الله.

ولأن لا وجود لمخلوق من مخلوقات الله أنبل من الإنسان، فإنك تعترف أن الله أمر الملائكة كي تسجد أمام آدم رغم أننا لا نجد ذلك في الكتب الإلهية. كان آدم إنساناً وأنت شهدت بذلك بشكل جميل بتأنيب كبريائك. إن هؤلاء، الذين لا يسجدون للبشر، عليهم أن يعلموا في أية طبقة سيُصنّفون كما أشرت أنت بدورك. معلوم، أن آدم حُلق بصورة الله. هل بوسعك الاعتقاد أن الله يتحدث حول جسدنا الفاني المعلول؟ لا!، وضع الخالق فيه كلمته وروحاً تشبه روحه وفكره. وبتوحيد كل ذلك فيه، منحه الاستقلال والإرادة وصورته. إلا أنه حُرّم من هذا الشرف، الذي منحه إياه الخالق، بسبب خداع (الشیطان) الدسّاس فنسي خالقه وعاش حياة داعرة وشبقاً مقرفاً وفجوراً في جو من الكراهية والتحقير والافتتال وكانت بداية جميع الشرور ونهايتها ضمن شرك لا أتجاسر على الحديث عنه لأن البشر عدّوا المخلوقات المرئية وغير المرئية آلهة وعبدوا الحياة الشبقة وحُب الذكور كآلهة وحول (الشیطان) الدسّاس هؤلاء إلى ساجدين له وكان سعيداً وهو يرى كيف يقومون بطقوس سقيمة من أجل الأصنام التي أقاموها بأنفسهم طالباً منهم الاستمرار.

عندما رأى إهانة صورته بسبب سجودهم للشیطان الدسّاس والقيام بأعمال ترضيه، غفر الله لنا كمحسن ومحب للبشر. ولأن الخلاص يكمن في الاعتراف بالخالق والابتعاد عن العدو، كان الله يُشعل علمه لخدّامه عبر رسله كسراج في دجى الشرك بين وقت وآخر. ولأن بصيرة الناس قد ابتليت بالعمى ولم يكن بوسعهم إدراك الضوء الإلهي كاملاً، لذلك، وكما قلت سلفاً، يُعلم الله الناس من علمه بمقدار بسيط بين وقت وآخر حتى نهاية العالم بتقديم النصح لهم. وكان الله قد وعد سابقاً بمجيء كلماته متجسّدة عن طريق أنبيائه.

وكلمة الله كان من الضروري تجسدها في جسد وروح وكل شيء بشري خلا الخطايا. وبما أن لا أحد بوسعه النزول إلى تلك الدرجة من التواضع بقدر ما نزل هو، لذلك، نحن نعلم أن كل شيء حول التواضع قد تم الحديث حوله كإنسان الأكثر تواضعاً ورب حقيقي. هل تتذكر قول موسى الذي ذكرته حول المساواة مع الله ذاته؟ إسمع حول ظهور موسى كإنسان: "سيأتي الله برسول من أشقائكم يشبهني فاصغوا إليه جيداً مهما قال. وإن لم يسمع أحدهم هذا النبي، فليقتل من قبل شعبه". ظهر أنبياء عديدون

في إسرائيل بعد موسى إلا أن تلك الوصية كانت تخص واحدكم فقط فقد كان الأقوى وسيتحدث حول أشياء يُصعب تصديقها.

لذلك، سأقدم لك شلة من شهادات الأنبياء المرسلين حول مجيء المسيح. لكن، إسمع قبل ذلك ما قيل عنه بكل تواضع. أعتقد أنك ستسمع بشهية. من المحتمل، سأتمكن من الصعود بك كالدرج وأوصلك إلى (الشهادات) الأسمى إن سمحت لنا إرادته. تنبأ داود عنه قائلاً: "أنا الدودة لا الإنسان، إهانة للناس واستخفاف بالشعب. والجميع الذين يرونني كانوا يلومونني ويتحدثون بشفاهم ويجرون رؤوسهم. فوضع أمله بالله الذي منحه الحياة". لم يحدث هذا الشيء لداود قط بل لربنا في ساعة صلبه.

إسمع لداود نفسه أيضاً الذي تحدث (بكلمات) العلي: "قال لي الرب أنت ولدي واليوم قمت بخلقك". أما حول جميع المشركين، الذين يتوجب عليهم الإيمان به، فقد قال: "أطلب مني وسأقدم لك المشركين كإرث ومُلك حتى أقاصي العالم". كذلك: "قال الرب: إجلس إلى يميني حتى أحوّل أعدائك إلى مسطبة تحت رجلك" و"معك تبدأ العظمة والقوة وهما قديسيك وولدتك من الرحم قبل الزهرة". وقد ذكر داود عن وحدانية الطبيعة الإلهية في السماء قائلاً: "امتلات الأرض برحمة الرب وقامت السماء بكلمة الله وجميع قدراته بلسان روحه". أما يرميا، فقد قال: "أرسلني الرب مع روحه". وحول تجسد الكلمة إسمع ما قاله يرميا أيضاً: "هو ربنا الذي لا أشبهه بأحد فقد وجد (هذا) جميع دروب الحجة ومنحها لخادمه يعقوب وعزیزته إسرائيل. بعد ذلك ظهر على الأرض وطاف بين الناس. هذه هي كتب أوامر الله وسننه التي ستبقى إلى الأبد. عُد يا يعقوب وتمسك به عند أول شروق ضوئه". يشير النبي إلى مصدرين لشروق ضوئه: تواضعه الذي لا يوصف وبه أثار الكون بالأشعة الإلهية. أما الثاني، فهو الإنبعاث العالمي الذي نبه به النبي الأمة العبرية ونصحها كي تؤمن بالبزوغ الأول ولا يصبح أفرادها عصاة كما كانوا ويتمتع الأجانب، أي الكفار، بعزته. "عُد يا يعقوب وامسك به عند أول شروق ضوئه ولا تعطى عزتك للآخرين وفائدتك إلى الشعب الغريب: ".

إصغي إلى كلمات الله. لم تتجسد كلمات الله عن طريق النبوة فحسب، بل تنبأ أيضاً بثورة إسرائيل العصيانة. لا يمنعنا أي شيء من الإصغاء إلى نبوءة أي إنسان غريب ذكر عنها موسى في كتبه: "ما أجمل بيتك يا يعقوب وخيمتك يا إسرائيل". وبعد ذلك بقليل: "سيخرج رجل من ذريته ويحكم شعوباً عديدة جداً وتصبح مملكته أوسع من البحر وستزدهر". أيضاً: "سأريه لكم لكن ليس الآن وسأنفحص لكن ليس قريباً. سيولد نجم من يعقوب ويخرج رجل من إسرائيل وينتصر على أمير مؤاب ويقوم بأسر

جميع أبناء سيدت". لذلك، ورغم أنه قال جميع هذه الأشياء عنه كبشر، لكن لاحظ، كيف بين له سبيل إخضاع جميع المشركين.

هل ترغب في معرفة ما يعني إخضاع جميع الأمم؟ هو إيمان الجميع به كما تراه أنت بالذات. بوسعي أن أريك أمير مؤاب فهو الشيطان مع الجن الذين سددهم للمسيح ضربة لأنهم كانوا يعززون الضلال بين الناس تجاه الأصنام بعبادتها. وكان كفر المؤابيين والأمم المجاورة لهم مقززاً جداً أكثر من جميع الأمم لأنهم كانوا يعبدون الأعضاء الجنسية للرجال والنساء التي يشبعون بها رغباتهم الشبقة. أنظر كيف ارتفعت مملكته الأرضية بينما (مملكة) المسيح سماوية. ولكن، ما هي مملكة المسيح؟ إنته إلى كلمات روح القدس التي قيلت بضم داود: "إلهي، إمنح حقك للملك وعدلك لابنه". أليس المسيح ابن ملك السماوات والأرض: ابن الله إلهياً وابن داود بشرياً كما أكدنا مراراً. ويستطرد قائلاً: "سيبقى تحت الشمس قبل القمر جيلاً بعد جيل وسيطر على جميع البحار والأنهار في جميع أصقاع المعمورة. ستسجد له جميع أم الدنيا وتخدمه وتصلي في كل ساعة وتباركه يومياً. ليتقدس اسم الرب لأن اسمه قبل الشمس ولتتبارك باسمه جميع الأمم ولتسعد به".

لذلك، مَنْ يتجاسر نسب تلك الأشياء لابن الإنسان-داود فقط لا إلى ابن داود جسدياً وإلى الكلمة حسب الألوهية وابن الله الذي يسيطر بإيمان السلام لا القتل بالسيف وسيل الدماء الذي لا يرحم والأسر. جاء حول ذلك في المزمارة ذاته على وجه الخصوص: "ستبزغ العدالة في أيامه وسيعم السلام حتى زوال القمر". كذلك، قال الله عبر النبي ميكيه: "أنت يا بيت لحم، رغم قلة سكانك بين آلاف يهوذا، سيخرج منك ذلك الذي سيكون لي دليلاً ويقود شعب إسرائيل وخروجه سيكون من الأيام الأولى لبداية العالم". كذلك قال الرب عن طريق يرميا: "هو إنسان، مَنْ يمكنه التعرف عليه وتمييزه وهو ما تنتظره إسرائيل؟ جميع هؤلاء، الذين هجروك سيخجلون ويساقون إلى البلاد أسرى لأنهم ابتعدوا عن الرب منبع ماء الحياة. ويسمي غير الكفار من اليهود بإسرائيل لا هؤلاء رأوا كلام الله وآمنوا، وأن ترجمة (اسم) إسرائيل عن العبرية تعني حاد البصيرة. لذلك، يرغب الرب أن تتمكن إسرائيل من الرؤية.

إسمع! ماذا قال عبر إشعيا: "ولد لنا ولد يحمل سلطته على كتفيه وسمي بملاك السر الكبير ومشاور رائع ورب جبّار وأمير السلام وأب الحياة الأبدية". سها ملاكاً لأنه كان خال من الذنوب البشرية". واستطرد قائلاً: "كبيرة هي سلطته وليست لسلامه حدود وسيجلس على كرسي داود وستمجد مملكته

وتتعرّز بالعدل إلى الأبد”. لكنه لم يجلس على كرسي داود أو يصبح ملك إسرائيل لأن الحديث لا يعود حول الكرسي الفاني بل الكرسي الذي تكلم عنه مع داود قائلاً: “سأُجَمِّز الأبدية لأولاده وأحافظ على كرسيك أمة بعد أمة كأيام السماء”. لكن، ما طبيعة كرسي داود وكيف أصبح أبدياً كأيام السماء سوى المملكة السماوية لابن داود المجدد الذي هو المسيح الذي قال عنه أيضاً: “سيقعد على كرسي داود وتُمدد مملكته وتتعرّز بالعدل منذ الآن وحتى الأزمنة الأبدية”. من المعلوم، أن مملكة المسيح المجدد كابن داود الأقوى والأبهر نقلت نحو الأعلى: إلى السماء إلى الأبدية غير القابلة للوصول. عليك الانتباه أيضاً إلى يسايي: “ستحبل العذراء وتنجب ولداً ويسمونه عمانوئيل أي الرب معنا.

لدي شهادات عديدة أخرى رأيت تلخيصها كي لا يشعر المستمعون بالملل. فإن رغبت إسمع أيضاً حول تواضعه الذي لا يمكن دحضه أثناء تعرضه للتعذيب الذي تحمله طوعاً وصبراً كما تنبأ الرسل سلفاً. قال روح القدس عن طريق يسايي: “لا أتشدد أو أعارض: عرّضت كتفي للضرب وفكي للصفعات ولم أدر وجهي من نخل البصق”. كذلك قال الرب عبر زكريا: “إن كان يبدو ذلك خيراً في أعينكم، قدّموا لي إجرتي وإلا فانسوا الأمر. ثم قاموا بوزن إجرتي ومقدارها 30 قطعة فضية”. في الواقع حدث هذا

للمخلص أيضاً عندما وشى به تلميذه وتعرّض للموت. وقد جاءت نبوءات شتى أخرى تروي عنها الأناجيل المقدسة وإن شئت بوسعك قراءتها بروية وتجدها فيها كل ذلك. فإلى جانب النبوءات العديدة، تنبأ داود بدوره بكل ذلك قائلاً: “إن الذي كان يأكل من خبزي رفع ضدي عقب رجله”. إسمع ما أعلن يسايي عنه أيضاً: “سيُصبح خادمي حكماً وبنوهم يصعد شأنه ويصبح مجدداً جداً كما استغرقت بك أم عديدة وسيغلق الملوك أفواههم أمامه لأن ما لم يُرو عنه سيرونه وما لم يسمعه سيعلمون عنه. إلهي! من صدق خبرنا ولمن ظهرت يد الرب. لأنه خرج كالشتلة وكالجذر من أرض عطشى. نحن رأيناه ولم يكن له شكل ولا جمال بل كان مظهره قبيحاً وأسوأ من ابن أمة بشرية. إن رجلاً تلقى الصدمات كان يعرف كيف يصبر وكانوا يديرون وجههم عنه واحترقوا واعتُبر شيئاً لا قيمة له. وقد حمل ذنوبنا معه

وعذب من أجلنا واعتبرنا أن آلامه والصدمات والعذابات هي من عند الله. لكنه أهين من أجل خطايانا وعوقب بسبب استبدادنا وأصابه عقاب سلامنا وشُفينا بجراحه وجميعنا ضللنا الدرب كالخراف وتاه كل على طريقه ووشى به الرب بسبب خطايانا إلا أنه لم يفتح فمه في أساه. سيق إلى الذبح كالخروف وكالنعجة للجز دون اعتراض ولم يفتح فاه. أُدين بتواضع وانتهت حياته الأرضية. سيق إلى الموت بسبب استبداد شعبي وخاصة أنه لم يقترف ذنباً أو ينطق بمكر أيضاً”.

إنك تُنكر جميع هذه الشهادات التي تحدث عنه روح القدس عبر خدامه من الرسل وتعتبرها أكاذيب وأين أمر مُشرّعك في عدم التصديق سوى بشهادة شاهدين حتى في الأمور الصغيرة جداً؟ كيف تتجاسر بلفظ مسبة هائلة كهذه؟ إنك نسيت أن مريم ليست ابنة أمرام أو شقيقة هارون بل هي والدة ربنا المسيح. فإن كان وجهك من جسد لا من حجر فاخلج لإظهارك جميع هذه الأكاذيب لأن الله وعد أن مجيء المسيح سيكون من عشيرة يهوذا بينما مريمك ابنة عمرام من قبيلة غيفي. ويسبب أكاذيبكم العديدة البينة، من الصعوبة بمكان اتباع (أقوالكم). ومهما تكن خرافاتك غير مؤكدة وكاذبة إلى أقصى حد، يمكننا تخفيفها بدلو الحقيقة الصغير.

أنت قلت إننا واليهود شوهدنا الأناجيل والمزامير ثم استطردت مضيفاً أنها منزلة من عند الله. فإن كانت كتبنا مشوهة وغير أكيدة فأين الكتاب الذي تستشهد به؟ لذلك، دعني أرى مزامير موسى والأنبياء وداود الأخرى أو إنجيلاً آخر. آه، إن تلفيقك معيب وكذبك الأسطوري قبل كل شيء. كان عليك على الأقل أن تقول إنك لم تكن هناك فلا تصدقوا ما يقال. يا رجل، إنك شوّهت شهادتك رغم استخلاصها من أناجيلنا وقتت بتحريفها ومع ذلك تتهمنا أننا قمنا بتشويهها. تكلم عن الإنجيل الذي رآه مشرّعك وعندئذ سأعلم أنك تجانب الحقيقة.

تقول إن الإيمان والعماد واحد وليس هناك أي إيمان أو وصية أخرى مُرسلة إلى البشر من عند الله. تقول أيضاً إن (الأقدمين) لم يستديروا نحو الجهة التي تصلون باتجاهها. هذا غير منطقي وهي مجموعة من المسائل الفارغة لأن الجهة، التي كان الأنبياء يستديرون نحوها أثناء الصلاة، ليست مذكورة. أنت ترغب بكل بساطة في السجود للمذابح الوثنية التي تسميها بيت إبراهيم. لا نجد في أي مكان من الكتب الإلهية أن إبراهيم كان في المكان الذي علمكم إياه مشرّعكم وطلب منكم السجود أمامه. أما بالنسبة لتناول القربان المقدس، فإنتي سأقدم ردي في المكان المناسب.

لنرى الآن إن كانت الأقوال في الإنجيل كما تعتقد أنت. صلّى المسيح كأنسان وانحدر منا ليعلمنا إلا أنه لا يحتاج للصلاة من الناحية الألوهية. إنه لم يقل أثناء صلاته ما كتبت عنه في رسالتك، بل (كان يقول): "أبتي، أبعده عني هذا الكأس إن كان ممكناً" مشيراً إلى أنه إنسان حقيقي. إن اعترف أي شخص بكلمة الله في غياب الألوهية، سيفقد أمل حياته كذلك الشخص الذي لا يعترف بطبيعته الإنسانية كاملاً.

لكن، هل ترى حقيقة الأناجيل التي نؤمن بها لأنها تحافظ على الأكثر تواضعاً والأعلى منزلة فإن قمنا نحن أو أسلافنا بتشويهها كيف يمكننا أن نحذف الكلمات التي جاءت عنه في الأناجيل كالأكثر تواضعاً؟ قال: “ليس بوسع ابن الإنسان ذاته خلق شيء من لا شيء بل والده الذي يسكن فيه هو الذي يقوم بذلك.” آمن أيضاً بخوف ساعة الموت الحيوي والعرق الذي سال منه عوضاً عن آدم لأنه قال لآدم: “ستأكل لقمة خبزك بعرقك”. قام الملاك بدعمه وظهر ليس لدعمه شخصياً، بل لتثبيت إيمان تلاميذه لأنهم كانوا يعتبرونه مجرد إنسان وليظهر على الأقل أنه أعلى منزلة من الإنسان العادي بسبب تحدته مع الملاك.

وبما أنك تؤمن بذلك، فأمن بالتالي ما قاله في هذه الكتب: “أرسلني الله إلى العالم وسأعود إليه”. وكما كتبت أنت أيضاً في رسالتك أنه قال: “الأب الذي أرسلني هو معي”. كذلك: “خرجت من الأب وجمت إلى الدنيا وسأتركها وأعود إليه”. لكنك وفي كل مكان جاءت كلمة الأب، فإنك تقلبها إلى رب أو الله اعتقاداً أنك تبرر نفسك.

بين جميع آرائك غير الحقيقية، مرة واحدة فقط لم تكذب وجمت بشهادة صحيحة لكنك لا ترغب في أن تؤمن أن “من يؤمن بي فلن سيؤمن بالذي أرسلني لا بالرجل المرئي، بل بكلام الله غير المرئي”. يقول كذلك: “من يحقرني يحقر من أرسلني”. أيضاً: “من يراني سيرى الذي أرسلني”. أرسله كإنسان وإله (للغير). قال للتلاميذ: “أبي أكبر مني” أي أكبر من الإنسانية. كذلك قال: “أنا وأبي واحد”. قال أثناء صلاته كما ذكرت أنت: “ليؤمنوا فيك فقط كإله حق الذي أرسل يسوع المسيح”. فوضع يسوع المسيح في مرتبة شرف الألوهية ذاتها. لذلك، فإن كان رسولاً فقط، فعندئذ يجب القول إن عليهم الاعتراف بالإله الحق فقط وموسى وغيره من الأنبياء وبعد ذلك المسيح. لذلك، أهدر أفكارك المليئة بالهذيان لأن المسيح كان إلهاً كاملاً وأضحى إنساناً حقيقياً بتجسده.

كما قلت مراراً، نجد (في الكتب) أنه الأكثر تواضعاً كإنسان والأعلى شأنًا كإله حق. تعرّض إلى اختبار الشيطان خارجياً، أي جسدياً، فارتعد الشيطان عندما سمع صوت الله أثناء المعمودية وهو يقول: “هذا هو ولدي الحبيب الذي ارتضيت به” فاحتار لمن ينسب هذا الصوت. أما الرب المسيح، الذي قرر الصيام مدة 40 يوماً، كان يشير بجلاء إلى أن الصوت يعود إليه. لذلك، فإن الشر يحسد دائماً وينزع عندما يرى الهارعين إلى الفضيلة واقتراب الإنسان لرؤية الرب. أما هو، العالم في كل شيء، يرد عليه كإنسان ولا يرى أن عدونا يستحق أن يعلم بسر الكمال. ألم تقرأ أنه بعد تعرضه للاختبار ابتعد

عنه الشيطان فترة واقتربت منه الملائكة وكانت تخدمه وهي طبعاً لا تخدم الإنسان فقط. وكما أرى، إنك تهرب من الحقيقة بكل بساطة ولا ترغب غير ذلك. نقول هذا لكنك تعارضنا لأنك تعتبر أن ربنا المسيح هو إنسان فحسب مستشهداً بآدم الذي خُلق من قبل الله من دون أبوين. سمعت عن الموت الحيوي ولا تزال تقول أن لا أحداً من الناس يمكنه قتله. فإذا كان محض إنسان حسب رأيك، فما الغرابة في ذلك إن توفي الإنسان؟ لذلك، فكّر جيداً حول ذلك ولماذا تقبل بالأكثر تواضعاً الذي قيل عن المسيح الرب وتهمل الأسمى وترفضه؟ إسمع ما جاء في الأناجيل حول ذلك بالذات. عمن يتحدث يوحنا المعمدان عندما يقول: “مَنْ يُؤْمِنُ بِالابْنِ، سِيرِثَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَمَنْ لَا يَطِيعُ الْابْنَ لَنْ يَرَى الْحَيَاةَ بَلْ سَيَحِلُّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِ”؟ أيضاً، يقول زكريا بن يوحنا: “هذا هو المسيح حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَحْمِلُ ذُنُوبَ الْعَالَمِ”. وجاء في بداية إ... ساقط النص هنا

الفصل الخامس عشر

أرسل الإمبراطور ليو نسخة عن رده إلى الأمير الإسماعيلي عمر مع أحد خدامه المخلصين وبعد قراءته بإجلال كبير خجل هذا كثيراً. وبفضل هذه الورقة، أصبح عمر أكثر تسامحاً تجاه الأمة المسيحية وكان يعبر عن ذلك في كل فرصة. وكما روينا سابقاً، أعاد الأسرى وعفا عن ذنوب الجميع مجاناً (دون فدية) وأظهر أيضاً صدق نيته أكثر مقارنة بأسلافه الذين حكموا قبله. ثم شرع أبواب خزائنه ووزع مرتبات الضباط والفرسان. وبعد أن قام بكل ذلك توفي عمر.

الفصل السادس عشر

حكم بعده شخص يدعى يزيد (87) مدة 6 سنوات وكان إنساناً مستبداً وشديداً في شراسته ويقترف شروراً عديدة جداً ضد أمتنا المسيحية وكان ممسوساً بالشيطان فأمر بتحطيم صور ربنا ومخلصنا

وتلاميذه الحية وصليب المسيح الرباني الذي كان منتصباً في أماكن عديدة باسم الثالوث المقدس. أكرهه ضلال روحه الشريرة كثيراً كي يتمرد ويعارض الصرح (الكنيسة) الثابت. لم يفلح في القيام بعمل أي شيء لبنيتها لأنه تحطم هو بالذات. وبوصوله إلى قمة الضلال، أمر بإزالة جموع الخنازير الحيوانات غير المقدسة من على وجه الأرض التي تقف على الحشائش لأن روحه الشريرة أوصلته إلى ذلك. وعندما دنت منه المنية، مات غرقاً ولاقى دينوته الأخيرة التي يستحقها من رب الجميع. وهكذا فطس بميتة مرة.

الفصل السابع عشر

حكم بعده شام أي هشم (88) مدة 19 سنة.

قرر هذا في السنة الأولى من حكمه تحقيق فكرة سيئة بإرسال قائد يدعى هيرت (89) إلى بلاد الأرمن لإجراء إحصاء سكاني فيها كي يشدد من وزر الضرائب باللجوء إلى شرور شتى متظاهراً باستيائه من حسن نية عمر الذي بدد الكنوز المقدسة من قبل الخلفاء السابقين بشكل غير قانوني وسبب أحزاناً عديدة لبلادنا. ولم تكن هناك أية حيلة للانعقاد من هذه الاضطرابات التي لا يمكن تحملها. وبعد ذلك اشتدت وطأة يده على بلاد الأرمن أكثر من ذي قبل.

الفصل الثامن عشر

في ذلك الزمان، جرت اضطرابات في الجهات الشمالية لأن ملك الخزر، الذي كان يسمى خاقان، توفي. عندما رأت والدته ذلك، وكانت تدعى بارسبيت، أمرت القائد طارماش كي يجمع قوات كبيرة للهجوم على بلادنا أرمينيا. تحركت القوات من خلال بلاد الهون ثم عبرت باب جورا وبلاد المزكنيين واجتاحت بلاد بايتاكاران وعبرت نهر يراسخ نحو بلاد الفرس ودمرت مدينتي أرتافيد وكنجة التجاريتين والمقاطعة التي تدعى أتشيباكان وانتصر السباتار بيروز وفورميرد بيروز (90) على جيش الإسماعيليين

وكان الجراح قائده (91). قام جيش الخزر بقتلهم جميعاً بالسيف واجتاح مقاطعة زاريفاند وطوق القلعة المعروفة باسم أمبريوتيك وترك شبان الجيش والمأسورين قرب مدينة أرتافيت. وبينما كان الخزر يكافحون أمام القلعة، هاجمتهم قوة غير كبيرة من الإسماعيليين بقيادة سبت الحرشي (92) بلمح البصر وقتلت العديدين بالسيف وأعتقت المأسورين. وصل خبر الاندحار بسرعة إلى الجيش الذي كان يدافع عن قلعة أمبريوتيك. وعندما سمعوا بالشر الذي لحق بهم، تركوا القلعة المطوّقة وهرعوا لمهاجمة عدوهم الذي اجتاح معسكرهم. هاجموا (العرب) تلك القوات وسددوا لها ضربات عديدة وصادروا شعار رايتهم، وهو عبارة عن صورة نحاسية يحتفظ به الحرشي إشارة فخر لبسالة أجدادهم. أرسل الأمير الإسماعيلي شقيقه مسلم (93) بعد ذلك لمساعدة قوات الحرشي بصحبة جموع جنوده. وعندما رأى مسلم أنه لم يصل في الموعد المحدد لبدء الحرب، حيث كان الحرشي قد وصل إلى النصر، قام بقتل العديدين بالسيف واصطحب معه الغنمية والأسرى ثم قام بتأنيب الحرشي وحاول حتى قتله لكنه لم يتمكن من إعطاء أمر صريح بسبب معارضة بني قومه الذين رفعوا أصواتهم عالياً محتجين. وهكذا، وبسبب غياب الجسارة في فرض إرادته، صمت وتراجع عن تنفيذ نياته وقفل راجعاً إلى الأمير الإسماعيلي.

الفصل التاسع عشر

بعد ذلك، هدد (الخليفة) ملك الروم ليو وأرسل إليه رسولاً (يطلب منه) دفع الجزية والخضوع له. وعندما لم يبادر الإمبراطور ليو إلى تلبية هذا الطلب، غضب الخليفة وبعث شقيقه مسلم بجيش كبير ضد بلاد الروم. وصل هذا بجيشه الكبير إلى سوريا عبر كيليكيا، ميسيكين، التي تترجم ببلاد ما بين النهرين، وسار ووصل إلى بلاد البيوتانيين وعسكر قرب شاطئ نهر ساكاريس الأعظم في المنطقة. استعدت قوات الروم بدورها وجرت السكان إلى القلاع والمدن لمقاومة الإسماعيليين بينما أقامت معسكرها على الضفة الأخرى للنهر وحصنته وطوقته بخندق واستمرت في الانتظار مدة طويلة. بعد ذلك، وصلت تنبيهات يومية عديدة من الملك ليو لقائده كي لا يقع في شرك ماكر، بل عليه الانتظار

فقط دون خوض الحرب ضدهم. لكنه لم يأخذ بتنبيهات الإمبراطور . وتكمن الحقيقة في أن القائد الإسماعيلي دعا قواته لاجتياح جميع المناطق والحصول على الغنائم وأسر العديدين ثم العودة إلى بلادهم. وعندما علم قائد الروم بذلك، أمر جيشه بحمل السلاح والهجوم عليهم. وعندما هاجموا الجيش الإسماعيلي، رأوا (هؤلاء) مباشرة وصولهم خلفهم وكانت غيمة من الغبار تحجبهم عن الرؤية. قام الإسماعيليون بتقسيم جيشهم إلى 3 جماعات وتمتسوا هنا وهناك بينما قام مسلم بمواجهتهم بقسم من جيشه. وعندما التحم الطرفان، قام الجنود المختبئون بتطويق جيش الروم وقتلوا العديدين بالسيف واحتلوا مقاطعات تلك البلاد ومدنها. ويقال أن عدد الأسرى يربو عن 80,000 وعاد الإسماعيليون بابتهاج كبير إلى بلادهم.

عندما علم الأمير الإسماعيلي الكبير بالنصر، سُر جداً مع وزرائه وأكرم شقيقه وبارك هذا النصر رسمياً ثم وزع الغنيمة على الجيش واتخذ الأسرى كخدام وخدمات وساد الهدوء في تلك السنة.

.....

شروحات

- (79) سبب ذلك تعجّب ك.شاهنازاريان وك.باتكانيان إلا أن جيفري يذكر أن هذه العادة كانت موجودة بين الشعوب الإسلامية.
- (80) من المحتمل أنه محمد بن مروان.
- (81) يبدو أن هذه الورقة كُتبت في بداية حكم ليو عندما لم تبدأ حركة تحطيم الصور. وكان اليهود يضعون صفيحة من الذهب على غطاء رأس الحاخام.
- (82) تُرجم هذا السطر في الإنجيل من اليونانية مباشرة.
- (83) الكابار هي الكعبة (حجر النيازك الأسود من السماء) في مدينة مكة.
- (84) الروكون (كلمة الركن العربية) هي الحجر الأسود المقدس ذاته في مكة.
- (85) زيد، الذي تبناه الرسول محمد، طلق زوجته زينب فاقتن بها الرسول.
- (86) يشير إلى حكم الساسانيين 226-652م الذي دام أكثر من 400 عام.

(87) حكم الخليفة يزيد في السنوات 720-724م وكان مشهوراً بمزاجياته الغريبة. وبناء على المؤرخ السرياني ديونيسوس تل محري، أمر بتحطيم الصور المقدسة في السنة 1035 سلوقية= 723-724م ليس في الكنائس فقط، بل داخل الدور أيضاً وأمر بقتل الكلاب البيض والحمام الأبيض والديوك. - ديونيسوس تل محري، ص 17.

(88) "شام" و"هشم" اسمان مشوهان لهشام. كان الخليفة هشام 724-743م رجل دولة مرموقاً بين الأمويين وفي عهده فتحوا المناطق المسكونة بالشعوب الإيرانية في آسيا الوسطى في سوغد وخوارزم وفرغانة وغيرها بشكل نهائي. اشتد وزر الضرائب في عهده وكانت معاملته قاسية تجاه الحكام الذين يقوم بتعيينهم عندما كانوا يستغلون منصبهم لتكديس المال على وجه الخصوص.

(89) كلمة "هيرت" جاءت مشوهة اللفظ وتعود لحاكم أرمينيا الحارث بن عمرو الطائي 724-725م. ذكره المؤرخ الأرمني موفسيس كاغانكاتواتسي أنه قام بإحصاء عام للسكان في أرمينيا وحدد الجزية على كل رأس عوضاً عن كل عائلة فساءت أحوال الشعب كثيراً. يشهد غيفوند بدوره أن الجزية على الرأس قام العباسيون بجبايتها بأشد الوسائل تعديباً.

(90) تقع منطقتا أتشيراكان وسباتار بيروز (سبانتاران بيروج) وفورميزد بيروز (فورميزد بيروج) في مقاطعة بايتكاران التاريخية جنوبي نهر آراكس.

(91) قائد أرمينيا "جراي" كلمة عربية مشوهة أصلها الجراح بن عبد الله الحكمي 722-725م و729-730م.

(92) "سيت الهاراشي" اسم مشوه اللفظ وهو حاكم أرمينيا سعيد بن عمرو الحرشي 730-731م.

(93) "ميسليم" تعبير مشوه للقائد العربي الشهير مسلمة بن عبد الملك الذي تبوأ منصب حاكم أرمينيا ومقاطعات أخرى لعدة مرات.

- آرام تير غيفونديان، كرونولوجية الحكام العرب في أرمينيا، مجلة "باتماباناسيراكان هانديس" العدد 1، 1977، بالأرمنية. انتهت الشروحات

الفصل العشرون

جمع (الخليفة) جيشاً أكبر عدداً في السنة التالية مقارنة بالسنة السابقة وقدمه للقائد مسلم وأرسله ضد بلاد الروم (94). تعهد مسلم أمام شقيقه وأقسم ألا يعود إليه دون إزالة المملكة (الروم) وهدم المدينة التي تدعى القسطنطينية وكاتدرائية آياصوفيا المقدسة الرائعة من أساساتها المبنية على الأرض بحكمة إلهية كدار لله.

بهذا المأرب سار مسلم على رأس جيشه ووصل إلى بلاد الروم وعسكر بكامل جيشه على شاطئ بحر بونتوس ثم بعث رسلاً إلى الملك ليو حاملين كتاباً مهيئاً فيه الكثير من التهم يطلب منه بتجبر: "لماذا هذا العناد؟ إلى حمى من تلجأ ولا تقدم الجزية وتخضع لنا؟ فبينما جميع الأمم ارتجفت رعباً منا، فعلى من تستند أنت وتعارضنا؟ ألم تسمع بجميع الشرور التي سببناها لجميع الممالك التي قاومت سيادتنا فقمنا بتحطيمها كآنية من فخار وسقطت جميع كنوزهم بين أيدينا؟ وهكذا، تحقق أمر الله وعهده لجدنا إسماعيل وأخضعنا جميع الممالك بعد دحرها. ألم تلاحظ أيضاً البلايا التي حلت ببلادك في عهد ملكيتك؟ هدمت مدنك بيدي وقت إبادة جموع جيشك بسيفي. لذلك، أعلم! إن لم تدفع الجزية، فإنني تعهدت تحت القسم بأنني لن أرى بلادك ثانية قبل إزالة مملكتك وتدمير تحصينات مدينتك المسورة التي وضعت آمالك فيها. سأحوّل صوفيا المشهورة، التي هي بيت عبادتك، إلى مراحيض لجنودي والصليب الذي تركع أمامه سآحطمه على رأسك لأن إيماننا كبير بالله الذي سيعيننا".

تضمنت رسالته إلى الملك هذه الإهانات والشتائم القبيحة. أما هو، فقد قرأ الكتاب المهين وأمر البطريك والسينكغيتوس (95) وجميع سكان المدينة على وجه السرعة بعدم التوقف عن صلوات التمجيد مدة 3 أيام في آياصوفيا المقدسة. اهتزت المدينة كاملة واجتمعت الجموع في مكان العبادة بناء على أمر الإمبراطور. وبدوره، وصل الإمبراطور إلى المعبد المقدس ويده الكتاب المهين وسجد أمام الرب وطلب من مخلصنا المغفرة كحزقيال الذي كان قد غفر لأحبائه منذ البداية. وكان يرجو من خالق الكون المساعدة والثأر من العدو الشرير بعيون دامعة. ذكر أيضاً إهانة الباغي بكلمات داود: "كم أفسد العدو معبدك المقدس وتباهى أعداؤك في رغدهم واعتبروا أنفسهم منتصرين ولم يعترفوا بالزيارة التي جاءت من السماء".

نطق هذه الكلمات وكلمات أخرى مماثلة أمام الرب كاعتراف وظل بدون طعام 3 أيام وهو يقوم بعهد الصلاة. وبعد ذلك، أرسل الكتاب التالي إلى القائد الإسماعيلي مسلم: "لماذا تباهيت بشرورك يا أيها القوي في استبدادك وشحذت مكرك كالموسى وتبجحت أمام العلي القدير وخططت لاقتراف إثم بخيلاء ضد مخلصنا ونائبه المسيح. لذلك، طلبنا رحمته التي قمت أنت بإهانتها ليعوضك عن شرورك وفمك النجس الذي فتحته ضد ملك الملوك ومدينته ومعبد الرب وضدي. وكوفي حارس كرسي المسيح، فإن الله سيسبب لك ولأفواه المستبدين البكم حسب لعنة النبي داود. أما نحن، فإننا لا نتباهى بقوسنا أو سيفنا، بل إن يمين الرب والقوة التي تحافظ على ضوء وجهه يمكنه أن يحطم الذين يتبجحون بسفاهتهم وخطرتهم. ألم يدر في خلدك أنه سيطلبك بثر الذين ذُبحوا بسيفك أو أسروا من بلادي؟ لم يسمح الله بوصول عصا الآثمين إلى منطقة الصالحين بسبب أفعالك العادلة، بل مخالفتنا للعدالة كي نعترف بضعفنا ونقتنع بالسير في الطريق التي يرغبها الخالق. وأنت لا تختبر الله ربنا لأن بوسعه رميك مع جموعك في أعماق البحر بخلق أمواج عاتية كما ألقى بفرعون المستبد في أعماق البحر الأحمر وهيّج مياه البحر بعصا موسى وأغرق الجيش المصري. والصليب القادر على كل شيء، الذي قمت بإهانتها، يشبه تلك العصا. لذلك، فإن ابتعدت عني وقلت راجعاً، ستختار ما هو خير لنفسك وجيشك وإلا فقم وحقق ما تنوي القيام به. أما الرب، فإنه سيحقق ما هو خير ومرضى له ويقوم بدينونته ويُنقذ شعبه ويُبعد عنا مزعجيننا مطأطي الرؤوس يلفهم العار".

عندما قرأ القائد الإسماعيلي الرسالة، استشاط غضباً وقام بمحاربة الصرح (الكنيسة) بضراوة ووحشية فقد كان الله قد قسى قلبه كي يسقط في الشرك الذي يستحقه. أمر جنوده بتجهيز السفن فأُنجز أمره على وجه السرعة وصعد الجميع على ظهرها واقترب من المدينة. وعندما رأى الإمبراطور ليو جموع الجيش الكثيفة كالغابة، أمر بوضع شباك حديدية على السور وإغلاق البوابة الحديدية للقعة ولم يسمح لأحد بمجابهة العدو لأنه كان ينتظر عون السماء آملاً في الثأر منهم بسبب أفعالهم. أمر البطريك ومجلس الشيوخ وجميع سكان المدينة مباشرة باصطحاب صليب المسيح الوضاء دعماً لهم في المعركة. وكان الملك يحمل الصليب الذي لا يقهر على كتفيه مع الجموع التي ترفع صوتها عالياً (إلى السماء) مع الشمعدانات وأضواء الفوانيس مسبحةً وتنشر رائحة البخور الزكية وتسير أمام الصليب وخلفه. وبعد فتح بوابة المدينة، خرجت الجموع ورفعت الصليب على المياه قائلة: "ساعدنا يا مسيح ابن الله ومخلص العالم". وبعد توجيه هذه الكلمات إلى السماء ثلاث مرات، غطست الصليب في مياه البحر حيث رُسمت

الصورة (الصليب) الإلهية. فاهتز قاع البحر بشدة بسبب قدرة الصليب المقدس وعلت الأمواج وتحطمت جميع سفن الجيش الإسماعيلي وغرق القسم الأعظم من عناصره في البحر وذاقوا طعم غضب البحر كجيش فرعون وساقت (الأمواج) الباقي إلى بلاد الثراقين على ألواح خشبية إلى الجهة المقابلة للبحر ووصل بعضهم إلى جزر بعيدة. وكان عدد الجنود يربو على 50,000. أما الذين تخلصوا من هذه التجربة الخطيرة، فقد ظلوا على اليابسة وقرر (الإمبراطور) ألا يعرضهم لضربات السيوف غير الرحمة، بل أمر بإبقائهم في الحصار كي لا يتمكن أحدهم من الخروج للعثور على الطعام. فظهرت مجاعة كبيرة في صفوف جيشهم بعد أن استهلكوا الخيول والبغال. ثم قاموا بنحر السرايا والخدم وأكلهم لإشباع جوعهم. وكان (مسلم) يتضرع للإمبراطور ليو ويسترحمه لفك الحصار لأن الباقيين على الحياة كان عددهم قليلاً. أما الملك ليو، الذي رأى أن الله أخذ بثأره من أعدائه، فقد أظهر شفقتة لهم ودعا مسلماً كي يأتي إليه وذكره بوقاحتة المخزية قائلاً: “لماذا نويت بالهجوم على بلادنا وأباد سيفك جنودي دون رأفة وقمت بأسر سكان مدني؟ إعلم! أن الرب حي بينما أنت فان ولا تستحق الحياة. ولأن دينوتي قد تحققت من قبل الرب، فإن استبدادك كان السبب في بلائك وطالبك بدم الأبرياء. لذلك، فإنني لن أرفع يدي عليك أو أحاكمك حسب ما تستحق. إنك بين يدي وبوسعي قتلك أو منحك الحياة لكنك لن تموت بل إذهب واروي حول معجزات الله الكبيرة التي كنت شاهد عيان عليها”.

رد مسلم على الإمبراطور فقال: “ماذا بوسعي أن أقول وخاصة إنني لا أستحق الحياة وآثامي التي اقترفتها تجاه بلدك عديدة. لكنك أظهرت شفقة كبيرة في إبقائي حياً وخاصة إنني اعترف شخصياً بأخطائي. وبما أن الرحمة ظهرت في قلبك تجاهي، أرسلني إلى بلادي وأعدك بالأأقوم بمحاربتك بعد الآن قط”.

أمر (الإمبراطور) بتلبية رجائه فامتطى ظهر سفينة وعبر المتوسط بجزر وقفل عائداً إلى بلاده يلفه خزي كبير وكان سكان المدن المختلفة يستقبلونه بالنحيب والعيويل بصفعه على جبينه وذر الرماد على رأسه. أما هو، فقد كان يلتقي بهم خجلاً ومطأطأ الرأس ويسمع منهم عتابات عديدة صامتاً دون أن يقدم لهم رداً خلا قوله لهم: “لم يكن بوسعي محاربة الرب”. وذهب بعد ذلك إلى داره ولم يربط السيوف على خاصرته حتى يوم وفاته.

الفصل الحادي والعشرون

عين الأمير الإسماعيلي هاشم (هشام-المترجم) في ذلك الوقت مروان بن محمد (حاكماً) للأمة الأرمنية عوضاً عن سيت الذي يدعى الحرشي. وعندما وصل مروان إلى ديبيل، استقبله الأمراء الأرمن فتحدث إليهم بكلمات سلمية واستدعى آشوت بن فاساك من السلالة البقرادونية ومنحه منصب بطريق بلادنا أرمينيا بأمر هشام وكرمه كثيراً. أما أبناء سمبات (97)، وبعد أن علموا بالتكريم الذي حصل عليه وصعود مكانته لدى هشام والقائد مروان، ملأ الحقد الكبير أفئدتهم حتى وصلت خلافاتهم إلى مسمع ابن محمد (مروان) فأمر هذا باعتقالهم مباشرة وبعث كريكور ودافيد إلى الأمير الإسماعيلي، وكانا من عائلة الماميكونيانين، وكتب عنهما إدانة بأنهما عاصيان لا يخضعان لسلطة آشوت. فأمر الأمير بنفيهما إلى بلاد تسمى اليمن التي هي صحراء وإبقيتهما رهن الاعتقال في السجن حتى نهاية حياتهما. عندما تعززت سلطة آشوت، اتجه إلى الأمير الإسماعيلي بسبب أحوال بلادنا القاسية لأن (الخليفة-المترجم) لم تدفع مرتبات الأمراء والفرسان الأرمن طوال 3 سنوات. فحضر أمام هشام وتحدث معه بحكمة ووقار فأكرمه هذا حسب ما هو متبع وحقق طلبه وأمر إعطائه 100,000 (درهماً) عن كل سنة (98). بعد ذلك، وطوال سنوات حكمه، كان مبلغ الفضة المخصص يصله دون عراقيل من أجل جميع الفرسان.

شروحات

(94) اجتياح مسلمة 717-718م عندما قام بتطويق عاصمة الإمبراطورية براً وبحراً. وقع العرب في ضائقة كبيرة للحصول على الغذاء فتهقروا بعد تكبد خسائر فادحة جراء هجوم البلغار عليهم من الخلف. ومن الغريب، أن غيفوند يذكر الاجتياح العربي في عهد هشام ومن المحتمل أنه دون هذه المعلومة من مصدر شفهي.

(95) مجلس الشيوخ البيزنطي كان يدعى السينكغيدوس.

(96) أصبح آشوت بقراتوني أمير الأرمن في عام 732م وحكم حتى عام 748م. ويبدو أنه كان هناك فراغ قبله مدة 5 سنوات لعدم صعود أي فرد على كرسي الحكم بعد وفاة سمبات بقراتوني في عام 727م.

(97) بقوله أبناء سمبات، يعني غيفوند الشقيقان كريكور ودافيت والماميكونيانين بشكل عام. لعب الماميكونيانيون، بدءاً من سقوط المملكة الأرشاكونية وحتى القرن 7 م (في القرن 5 م فاردان وفاهان وفي القرن 7 م هامازاسب وريكور) كأكبر الأمراء الإقطاعيين في أرمينيا وفي الوقت ذات كقادة للجيش ومرزبان البلاد وبطارقتها، دوراً استثنائياً في حكم البلاد. وبعد أن كاخ الأمراء السيونيون (فاساك وجديون وغيرهما) ضدّهم طوال القرنين 5-6م من أجل المناصب الأولى، فضّلوا الانفصال عن أرمينيا في عام 571م وإقامة حكمهم عوضاً عن الخضوع لحكم الماميكونيانين. وبعد حرب طالت عشرين سنة 572-591م، نزل البقراتونيون إلى الساحة كمنافسين رئيسيين للماميكونيانين. إلا أن المنافسة الحقيقية بدأت في نهايات القرن 6 م وبدايات القرن 7 م في عهد سمبات بقراتوني والمرزبان فركانا. ومن الشخصيات البارزة في القرن 7 م فاراجتيروتس والبطريق آشوت 685-689م. وصلت منافسة البقراتونيين والماميكونيين إلى ذروتها في القرن 8 م وكان الماميكونيانيون يشعرون أنهم بدأوا يفقدون مواقعهم المتقدمة في أرمينيا تدريجياً. وما حركات كريكور ودافيت المتطرفة سوى انفجارات ميؤوس منها ضد البطريق آشوت المنافس القوي.

(98) كما يظهر، لم تكن العهود، التي قدمها الحاكم عبد العزيز 706-709م، تنظّم حقوق الأمراء في الأرض ومقدار الضرائب فحسب، بل كانت تقرر وضع جيش الفرسان الأرمن. لم يتغيّر عدد أفراد قوات الفرسان الأرمينية بل ظل كالسابق بحدود 15,000 فارس. وبناء على التشريع الإسلامي، لا يحقّ لغير المسلمين الاحتفاظ بقوات محلية وكانوا يعفون عامة من خدمة الجيش لأنهم يدفعون الجزية وبالمقابل كان يتوجب على الدولة الإسلامية حمايتهم. وكان هذا المبدأ يُعمل به حسب الظروف في مصر وسوريا وما بين النهرين وخاصة أن السكان المحليين من أقباط وسريان كانوا قد حُرّموا من السلطة منذ وقت بعيد ومن الحيازة على إقطاعات ولم يكن مسموحاً لهم طبعاً أن تكون لهم قوات وطنية أو فرسان. إلا أن كل ذلك لم يمنع الأقباط والسريان على الاشتراك في الحروب في جيش الخليفة.

لكن الأوضاع كانت مختلفة في أرمينيا لوجود إمارة شبه مستقلة قبل الاحتلال العربي. فبعد احتلال أرمينيا، أبقى العرب على جيش الفرسان الأرمن لأنه كان يشترك في المعارك التي يخوضونها ضد الخزر

وبيزنطة. وكان جيش الفرسان يقبض مبلغ 100,000 درهماً سنوياً كي ينفق الأمراء الأرمن عليه وكان مبلغاً زهيداً في الواقع. وكانت هذه القوات تحصل على الأسلحة وتقع مستودعاتها في مدينة ديبيل. ومثالنا على ذلك، أن القائد أرتافازد ماميكونيان حصل على أسلحة وآلات حربية بعد مجيئه إلى مدينة ديبيل أثناء ثورة 774م. لكن الخلافة لم تحترم واجباتها دائماً، وكان الخلفاء الأمويون والعباسيون يرفضون دفع هذه الكمية من الفضة سنوياً.

.Tritton, The Caliphs and their non-muslim subjects, London-1930, p.18-36

انتهت الشروحات .

الفصل الثاني والعشرون

بعد ذلك، جمع مروان بن محمد قوات كبيرة واصطحب الأمير آشوت والأمراء مع فرسانهم واجتاحوا بلاد الهون وقاوموا المدينة (99) واتنصروا على حاميتها ثم قاموا باحتلالها. وعندما رأى سكانها انتصار الأعداء عليهم واحتلال مدينتهم، رمى العديد منهم مقتنياتهم في قاع البحر وقفروا وماتوا غرقاً. أسر جيش الإسماعيلي بقية السكان وحمل معه الغنيمة وعاد مروان مع الأمير آشوت من جهات بلاد الهون بنصر كبير وغنائم لا تحصى. وعندما وصل إلى مدينة بردعة التجارية، أفرز خمس الأسرى والغنائم (100) وأرسلها إلى الأمير هشام يخبره بالنصر. أما هو، وبعد الحصول على هدايا الغنيمة، شكر مروان وقواته شكراً جزيلاً وأنب شقيقه مسلم مستشهداً بانتصار مروان البطولي. فرد عليه هذا قائلاً: "لم أكن أحارب الناس، بل الرب". وزّع مروان بقية الغنائم والأسرى على أفراد جيشه وخصص قسماً لآشوت وغيره من الأمراء الأرمن المحترمين وقدم لهم الخدم والخادمت (101). أما هو، وبعد الاستيلاء على بلادنا، نهى جميع أشكال الهجمات والقائمين بالظلم واللصوص وأعدمهم على خشبة بعد تهشيم أطرافهم: اليدين والرجلين. وبعد أن عاش هشام مدة 19 سنة توفي.

الفصل الثالث والعشرون

خلفه فليت (الوليد-المترجم) الذي حكم سنة ونصف. كان هذا قوي البنية ومغرمًا بالمصارعة. وعندما كان يعلم أن هناك شخصاً باسلاً، كان يرسل لإحضاره كي يجتبر قوته. وخلا ذلك، كان يمضي معظم وقته في حياة السكر والشبق المطلق مع النساء. وعندما رأى الأمراء من بني قومه أخلاقه الفاسدة وشبقة المقرف، استشاروا علماءهم من الأئمة الذين يقرأون القورا (102) حول ما يعتقدون. ورد هؤلاء: "بما أنه أهان كرامة دولتنا ولم يتبع سنن كتابنا وعاش حياة شبق مقرفة فإنه يستحق الموت، فليت". لذلك، قام هؤلاء، بناء على أوامر استلموها من القورا، ودخلوا إلى قصره ووجدوه مخدراً بسبب السكر وقتلوه بالسيف وعينوا شخصاً يدعى سليمان عوضاً عنه ينتمي إلى السلالة الملكية ذاتها.

الفصل الرابع والعشرون

أما مروان، فعندما علم بوفاة أميرهم الوليد، جهّز جيشه على وجه السرعة وترك مسلم بن إسحاق في بلادنا أرمينيا وسار بجيشه الجرار لمحاربة شعبه ثاراً بسبب اغتيال الوليد وابنه وجذب إلى صفه بعض أقرباء المقتولين وجمع الرجال منهم إلى طرف أبناء إسماعيل الآخرين وتوحدوا وشكلوا جيشاً كبيراً وساروا وعبروا نهر الفرات. التقى (الطرفان) قرب حدود دمشق في منطقة تدعى روسبا (الرصافة، رصافة هشام-المترجم) وسددوا لبعضهم ضربات قوية لأيام عديدة. وعندما أمسى النهار ليلاً وأصبح وقت الصلاة، توقفوا عن القتال وبدأوا بالنواح على قتلاهم. وكانوا يجمعون الجثث ويدفنونهم قائلين لبعض: "إننا أمة واحدة وإخوة بلغة ودولة واحدة لماذا نقتل بعضنا بعضاً بالسيف؟". لكن، استمرت الحرب بينهما في اليوم التالي وطالت. انتصر مروان على الآخرين وقتل سليمان وصعد على الحكم مدة 6 سنوات.

لم تتوقف المعارك بين أبناء إسماعيل طوال حكمه لأن مروان طوّق مدينة دمشق وحطم بواباتها الحديدية. وكانت هذه القوات تضغط رجال المدينة، أبناء إسماعيل، بين 4 ألواح خشبية وينحتون وجوههم بآلات النجارين الحادة وينهون حياتهم بتلك الوسائل المأساوية. كذلك، كان هؤلاء الجنود يشقون بطون النساء الحوامل ويضعون الأطفال الذكور داخل الجدران ويرفعون المداميك الحجرية أمامهم فيفطسون بتلك الطرق المحزنة. أما الفتيات، اللواتي لم يعرفن فراش الرجال حتى ذلك الوقت، قام الجنود بأسرهن أيضاً مع جموع السكان الكبيرة لأن ثأر الرب كان قد وصل إلى المدينة بسبب تكرار شرور سكانها العديدة. وتحققت هنا نبوءة عاموس الذي قال: "هكذا يقول الرب حول زنادقات دمشق الثلاث.

أما بالنسبة للزندقة الرابعة، فإنني لن أتراجع عن العقاب لأنهم قاموا بتقطيع أجساد الحبالى بالمنشار الحديدي. سأرسل حمي لبيت أدائيل وأدمر أساسات عائلة أبناء آدر. سأهدم متاريس دمشق ومزاليجها وأقوم بإفطاس سكان وديان عون وأبيد جميع رجال شعب حرّان بالكامل وأسر الأمة السريانية المختارين". في الحقيقة، وصل ثأره بالدمار من قبل سكان حرّان حسب صوت النبي.

لكن، هل يستحق أن نتساءل لماذا قسّم النبي جميع أشكال الزندقة والكفر إلى ثلاثة أقسام ويعتبر الرابع (فقط) سبب غضب الرب الأصلي؟ يبدو لي، أن مدينة الزنادقة كانت مليئة بالأشرار من كل نوع لأنهم كانوا يقومون (بأعمال) القتل والنهب والشبق ودب في أفكارهم وإحساساتهم وقلوبهم الفساد وقاموا بمثل هذه الأفعال النابعة من الشر. أما (الزندقة) الرابعة، فإنهم لم يرتعدوا من زيارة الرب لهم فحسب، بل كانوا ينسبون إليه سبب شرورهم وهو ينبوع جميع أشكال الخير. هذا هو سبب تحوّل رحمة الله الحلوة إلى سخط ضد الزندقة.

الفصل الخامس والعشرون

بينما كانت الاضطرابات المقلقة مستمرة بين أبناء إسماعيل بسبب الحرب المشؤومة، تحرر أبناء سمبات من (حال) الأسر لأن الوليد كان قد أمر بإخراجهم من السجن. ولكن، وقبل وصولهم إلى سوريا، قُتل

الوليد فاحتفظ بهم هناك ولم يسمحوا لهم بمغادرة تلك البلاد. وعندما استمرت الحرب بينهم (العرب)، أُعتقوا من الأسر للعودة إلى أرمينيا. وحين وصلوا إلى بلاد الأرمن، اتجهوا إلى أطراف باسفرجان بعد مدة قصيرة وقاموا بانتهاكات وسبوا اضطراباً كبيراً في البلاد وضايقوا الشعب بضرائب جائرة لدرجة وصلت شكوى بلادنا إلى القائد (الحاكم) إسحاق بن مسلم الذي منعهم من اقتراف هذه الشرور والآثام. لكن، عندما رأوا مخرج القتال، عادوا إلى معارضة حكم آشوت ثانيةً بتدبير المكائد ضده في كل حذب وقاموا بمهاجمته ليلاً عندما كان يستريح، وخاصة أنه كان قد نشر قواته في مختلف المقاطعات، فعزموا على قتله إلا أن الحراس شعروا بذلك وقاموا بتحذيره من العدو الذي يقترب ففر وأنقذ روحه من السقوط بين أيديهم. اكتفى هؤلاء بغنيمة كنوز الأمير آشوت الكبيرة فتوقفوا عن ملاحظته فأيقن بخيانتهم، وخاصة أنهم كانوا يضمرون الثأر منه أثناء السلم، وتحاشاهم بعض الوقت. ثم قام بتوطين زوجته وعائلته مع ما يملك في حصن داريونك وعيّن حراساً لحمايته واتجه هو نحو سوريا لمقابلة الأمير الإسماعيلي مروان كي يروي له خلافاته مع الأمراء.

حازت قوات مروان على نصر كبير ودُمر الأعداء بعد وصول بطريق الأرمن لمساعدته بقوات فرسانه المدربة جيداً التي يصل عدد عناصرها إلى 15,000 فارس. وعندما سمع معارضو مروان ذلك، دب اليأس في أفئدتهم وتعرضوا لانكسار كبير في ذلك اليوم وتعبوا من القتال فنالوا قسطاً من الراحة. بينما كان الأمير آشوت في سوريا في ذلك الوقت، عيّن ابن مسلم كريكور ماميكونيان، من سلالة الماميكونيانين، قائداً لجيش الأرمن عوضاً عن الأمير آشوت. أما مروان، وبعد أن علم بالتهمة الموجهة إلى أبناء سمبات ومعاملة كريكور لشقيقه دافيت، بعث رسولاً لإسحاق بن مسلم، الذي كان حاكم بلادنا أرمينيا، وأمره باعتقال دافيت وتسليمه لشخص يدعى عقبة كي يقاضيه كما أمر. أما هو، فلم يتاهل بل استدعاه على وجه السرعة بمكر واعتقله وسلمه ليد الجلاد غير الرؤوم الذي كبله بأصفاد مرة وأبقاه نزيل السجن بضعة أيام ثم كتب إلى مروان ينتظر أوامره. أمر (هذا) بتهشيم أطرافه العليا والسفلى وإعدامه بتعليقه على لوح خشبي. هكذا كانت وفاته المحزنة المعيبة لأنه لم يكن مقبولاً من قبل الرب الحقد الذي يكنونه ضد بعضهم. وكما يُقال: تقدّم البذور الشريرة ثماراً شريرة.

عندما نُفذت هذه الشرور، قام مروان بإعادة تثبيت آشوت في الحكم وأرسله إلى بلاد الأرمن بتكريم وإجلال. ورغم ذلك، لم يكف كريكور عن تأجيج العداء ضد شقيقه لقتله ثأراً. وبسبب الخوف الذي يكنه تجاه المستبدين، كان كريكور على علاقة هادئة مع شقيقه آشوت ظاهرياً لا من قلبه لأنه لم يتأقلم مع استلامه لمقاليد حكم البلاد وكان يتحين الفرصة المناسبة لتحقيق مأربه.

الفصل السادس والعشرون

في ذلك الوقت، وعندما كانت الحرب لا تزال مستعرة بين بعضهم (العرب)، فكر جميع أمراء بلادنا في رمي وزر الطاعة جانباً والثورة ضد الإسماعيلي والانعقاد من حكمه. قدّم كريكور من عائلة الأمراء الماميكونيانين هذه النصيحة وقام بجذب هذا المكر بهدف اغتصاب السلطة من آشوت. أما جميع أمراء أرمينيا، فقد حضروا عند الأمير آشوت لإقناعه بدعمهم والانضمام إلى النصيحة التي لا فائدة ترحى منها. وعندما أدرك الأمير وحدة الأمراء مع فرسانهم وانجرفهم نحو نصيحة غير نافعة، تماهل ودعا كل أمير على حدا راجياً مطولاً وبكلمات شتى عدم المبادرة في مثل هذا العمل الأثيم قائلاً: “أيها الإخوة! لا أجد تبصراً في هذا العمل غير الحكيم سوى نصائح غير سوية وكلمات عديمة النفع. إن قواتنا قليلة لمقاومة استبداد إسماعيل وليس بوسعنا دحر قواته وإنقاذ بلادنا من فم التنين بل ستعرضونها إلى عذابات وأخطار فقط. فإن رغبتم بقبول نصيحتي، لا تقوموا بذلك وادفعوا الجزية لهؤلاء كالسابق وحافظوا على أموالنا وحقولنا وغاباتنا وأراضينا (103)”. إلا أن أمراء أرمينيا لم يقبلوا بهذه النصيحة الحكيمة وعارضوه قائلين: “إن لن تتوحد مع قرارنا، فلن يبقى أحد في جيشك ولن نهمل الاضطرابات التي تعم في بلادنا أرمينيا”. لذلك، أكره الأمير آشوت على الموافقة والاتحاد مع كريكور وغيره من الأمراء وقام الجميع بعقد حلف بالقسم على الصليب الرباني للحفاظ على محبة الوحدة بإخلاص.

عندما قاموا بالتصديق على هذا العهد، ابتعدوا عن قائد بلادنا وتمركزوا في تحصينات تايك مع جميع عائلاتهم وما يملكون ووجدوا ملاذاً لهم عند قوات ملك الروم على أطراف بونثوس بسبب عهد سلام بينهم بأمر الإمبراطور قسطنطين. وانضم جميع أبناء الخطيئة (104)، الذين لم يعرفوا مخافة الله والأمراء

واحترام الكهول، إلى هؤلاء العصاة وقاموا باجتياحات كغرباء وأسروا إخوانهم وأبناء أمتهم وعرضوهم للتعذيب بالنبوتات. لذلك، ندم الرب بسبب رحمته وفرق وحدتهم فابتعد الأمير آشوت عنهم مباشرة ووصل إلى قرية هازر في مقاطعة باكريفاند للانضمام إلى أبناء إسماعيل. عندئذ، أعلم الأمراء المصاحبين له كريكور الشرير بخبث حول تلك النية. ولكي يفلح هذا في تنفيذ مؤامرتة، التي خطط لها منذ وقت بعيد، شكّل جيشه على وجه السرعة وقام بملاحقته وتقدم عبر الجبال كالغربان. وعند حلول المساء، طوق مكان استراحته بعد أن علم بتردد جيشه وقبض عليه وسلمه إلى دافيت الذي أمر بجرمانه من ضوء عينيه. فقتم فخار بلادنا ولّف الحزن العميق ليس شخصه فحسب، بل أمراء سلالته أيضاً. وبعد إعلامهم بالأمر، لم يتمكنوا من مساعدته بأي شكل كان، بل كانوا ينتحبون بصوت عال لأن إكليل فخارهم كان قد سقط ودُمر وزالت عزة أمتنا الأرمنية.

أما كريكور الحانث بالعهد، وكأنه عائد من عمل بطولي قام به، اتجه إلى مدينة كارين (قاليقلا عند العرب وثيودوسيوبوليس عند الروم- المترجم) وأعلن عن بشارة نصره في كل الاتجاهات. وبعد أيام عديدة، وصلته دينونة الرب بشكل يليق بأفعاله فانتفخ بطنه وآسى من آلام مبرحة وتوفي بعذاب أليم دون ترك أية ذكرى فنصّبوا شقيقه موشيغ عوضاً عنه لكن لفترة قصيرة.

حكم آشوت مدة 17 سنة ممجداً أكثر من جميع الأمراء السابقين لكنه اصطدم بهذا المكر التأمري واستمر على الحياة بعد ذلك مدة 13 سنة وتوفي في سن الشيخوخة ووضع في لحده بإجلال ودُفن في مقبرة (سالته) في قرية داريونك.

الفصل السابع والعشرون

لنعد ثانية لسردنا القديم للتاريخ.

بينما كان الأمير الإسماعيلي مروان يحارب أمته، شب حريق معنّد في الجهات الشرقية من بلاد خرسان. وعندما رأى جميع أمراء أبناء إسماعيل أن الاستبداد، الذي لا يمكن القبول به زاد من بني قومهم، حاولوا إيجاد وسيلة خلاص لأنفسهم. والعديد منهم، الذين كانوا من عائلة مشرّعهم، هربوا بدورهم إلى بلاد خرسان وظلّوا محتبئين هناك بعض الوقت. وبعد توحيد قوات خرسان، قاموا بتعيين قحطبة وشخص يدعى أبو مسلم (105) قائداً للجيش. وكان هذا الأخير داهية في شيعة التنجيم. وبعد توحدهم، قاموا باغتيال حاكم البلاد وضمو جيشه وجموعاً فوضوية كبيرة إليهم كانت غاضبة من استبداد الجباة الذي لا يطاق ثم قاموا بمهاجمة مناطق آشور. اتجه جيش مروان ضد تلك الجموع لكنه لم يفلح في مقاومتها لأن دمار حكمه كان قد تقرر من قبل الرب فقتل العديدون ولاحقوا قوات عبد الله (106)، الذين يسمون بأبناء هشام، وعبروا نهر دجلة. وبعد إخضاع مدن عديدة، قاموا باحتلالها وانكسرت جميع القوات، التي كان يبعث بها مروان ضدهم، وأبيدت (107) وأدخلوا الجميع ضمن طاعتهم حتى معسكر الطاجيك الكبير في أكوغا (108).

أما سكان أكوغا والبصرة، وعندما أيقنوا بقوة هؤلاء، قاموا بدعمهم والانضمام إلى جيشهم. وعندما رأى مروان ذلك، اضطرب كثيراً وشرّع أبواب الكنوز الملكية ووزعها على قواته وتسلّح وانخرط في المعركة مع جموع قواته وقام ضدهم. وعندما وصل الجيشان واصطفت كتائبها أمام بعض، انفجرت المعركة وجرح العديدون وانتشرت جثث لا حصر لها على ساحة المعركة التي استمرت بين الطرفين حتى نهاية العام. حلّ ثار الرب على مروان في نهاية السنة السادسة من حكمه يطالبه بالتعويض عن دماء بني قومه الغزيرة لأنه كان سبب إهراقها. تعززت قوات عبد الله وهاجمت مرواناً بشراسة ووصلت إلى معسكره ومات العديدون تحت ضرباتهم الشديدة. ويقال أن عدد الفرسان الذين قُتلوا كان 300,000 فارساً وكانت الدماء تسيل كالجدال وسبب بخار دمائهم تشكل الضباب وأظلمت الدنيا كثيراً. ثم وصلت هذه القوات إلى معسكر مروان وقتلته.

هكذا، وبعد اقترافه لجميع هذه الشرور طوال 6 سنوات: جلجلة الحروب واحتلال المدن وإهراق الدماء، توفي.

الفصل الثامن والعشرون

حكم عبد الله عوضاً عنه (109) وبعث شقيقه كي يطوف في جميع البلدان التي يحكمها. جاء هذا إلى بلاد الأرمن أولاً وعذب الجميع وسبب لهم آلاماً لا تحصى وساد الفقر المدقع وخاصة أنه طالب بجزية ثقيلة حتى عن الأموات. وكان يعذب جموع الأيتام والأرامل ويضرب الخوارجة وخدام هيكال الرب بالعصي ويعذبهم كي يقرّوا بأسماء المتوفين وعائلاتهم. وكان يعذب سكان البلاد ويستبد بهم عند جباية الجزية أيضاً ويفرض نقوداً فضية بمبلغ كبير على كل رأس (110) ثم يضع خاتماً من رصاص على رقبة كل واحد منهم.

أما عائلات الأمراء، فقد كانت تقدم الهدايا مكرهةً إلى جانب الجزية المفروضة (111): خيولاً وبغالاً وثياباً ثمينة كذلك كنوزاً ذهبية وفضية كي يتمكنوا من سد فم التنين الذي هاجم البلاد كي تسوء أحوالها. وبعد إشباع معدته الشريرة، التي لا تعرف الشبع، انتقل إلى نواحي الفرس والماريين حتى بلاد خرسان ومن هناك إلى مصر وبلاد بينتبوليس وإفريقيا. وكان في كل مكان يحلّ فيه يرمي رغبته في النهب الجشع كشباك يصطاد بها حاجات الناس الحياتية إلى درجة تسميته من قبل بني جنسه بالذات بـ "أبي الدراهم". وكما يقال، كان يجد النقود أكثر من الرب. وعندما ابتعد عن البلاد، عين أسيد بن يزيد قاضياً وجابياً (112) على بلادنا أرمينيا.

عين يزيد إسحاق بن باكرات (113)، من عائلات الأمراء الأرمن وسلالة الأمير آشوت، أميراً للبلاد فقد كان ابن عم هذا الأخير. وكان هذا شخصاً بهي الطلعة طويل القامة وشريفاً وتقياً يعرف مخافة الله وكان يقود الجيش مكرهاً بسبب صعوبات المعارك وخاصة أن جيش أرمينيا لا يستلم المرتبات التي كانت تصل من البلاط (من الخلفاء العرب التي تبلغ 100,000 درهماً فضياً سنوياً- المترجم). لذلك، كان يطلب المبلغ ذاته من الأمراء الذين كانوا مكرهين على تسليح مليشياتهم والإنفاق عليها بوسائلهم الخاصة. بعد أن أنهى عبد الله السنة الثالثة لحكمه توفي واستلم الحكم شقيقه عبد الله الآخر (114) الذي حكم مدة 22 سنة. انتهت الشروحات

شروحات

- (99) المدينة التي لا يذكرها غيفوند يجب أن تكون فاراتشان (بالانجار) ومن المحتمل ساماندار على ضفة بحر قزوين. يذكر المؤرخ الأرمني فاردان أن مروان اتجه نحو مدينة فاراتشان البيزنطية. بالمناسبة، تسمى المصادر الأرمنية الخزر بالهون. ولكن، ورغم أواصر القربى بينهما، إلا أنهما قبيلتان مختلفتان.
- (100) بناء على التشريع الإسلامي، يعود خمس الغنائم الحربية إلى الخليفة ويوزع الباقي على المحاربين.
- (101) يُستخدم الأسرى من ذكور وإناث في الغنمة في أعمال البناء والأعمال البيتية وغيرها. وكانت العبودية منتشرة جداً في الخلافة ويصل عدد العبيد إلى مئات الآلاف وخاصة في مناطق ما بين النهرين وسوريا ومصر. أما في أرمينيا، فقد كان عددهم قليلاً ولم تكن الأعمال الخاصة بالعبيد منتشرة.
- (102) "قراء" كلمة عربية تعني الذين يقرأون القرآن أي الشيوخ العلماء.
- (103) تكرر هذا التعبير مرة أخرى لدى غيفوند ويصف أنواع إقطاعيات الأمراء.
- (104) يُعتقد أن تعبير "أولاد الزنى" له معنى خاص ويعود لشبيعة التوندرايين الأرمن.
- (105) كان أبو مسلم 727-755م زعيم الثورة التي نشبت ضد الأمويين في خراسان في عام 747م. وخوفاً من تعاضم مكانته يوماً بعد آخر، عين إمام العباسيين إبراهيم القائد قحطبة قائداً لقوات الثورة. احتل الثوار جميع مناطق فارس بين 747-749م وفي معركة الزاب الكبير في عام 750م سدّدوا ضربة فاصلة للأمويين وتحولت السلطة إلى العباسيين. ظل أبو مسلم حاكماً على خراسان إلا أن الخليفة المنصور أمر باعتقاله وقتله في عام 755م.
- (106) الشقيقان المؤسسان للخلافة العباسية، اللذان تعاقبا في حكم الخلافة، يحملان الاسم ذاته وهو عبد الله: يُعرف الأول بأبي العباس 750-754م والثاني بأبي جعفر المنصور 754-775م. ويُفرق المؤرخ غيفوند الثاني عن الأول بقوله "عبد الله الآخر".
- (107) إن تحطيم مروان قرب دجلة يُعنى به المعركة قرب رافده الزاب الكبير التي جرت في شهر كانون الثاني عام 750م.
- (108) أوكغا هي مدينة الكوفة في منطقة ما بين النهرين حيث أعلن العباسيون عن قيام حكمهم. وتنحدر هذه الكلمة من الكلمة السريانية أوكولا.

(109) للمؤرخين الأرمن كرونولوجية خاصة حول الخلفاء العرب تحتاج لمزيد من البحث. غيفوند هو أول المؤرخين الأرمن الذي قدم الجدول التالي بدءاً من الرسول محمد تحت اسم أمير المؤمنين.

عدد سنوات الحكم	الاسم
20	- الرسول محمد
38	- أبو بكر وعمر وعثمان
19 سنة و 4 أشهر	- معاوية
2 سنة و 5 أشهر	- يزيد
21 سنة	- عبد الملك
10 سنوات و 8 أشهر	- وليد
2 سنة و 8 أشهر	- سليمان
2 سنة و 5 أشهر	- عمر
6 سنوات	- يزيد
12 سنة	- هشام
1,5 سنة	- وليد
-	- سليمان
6 سنوات	- مروان
9 سنوات	- عبد الله
22 سنة	- عبد الله الآخر
8 سنوات	- محمد المهدي
1 سنة	- موسى
-	- هارون

يتكرر هذا الجدول ذاته لدى المؤرخين الأرمنيين الآخرين توما أردزروني وستيبانوس تارونيتسي أصوغنيك. وبمقارنة هذا الجدول مع جدول المؤرخ البيزنطي ثيوفانس، نجد تطابقاً كبيراً بينهما.

(110) تحوي هذه الجملة معلومات هامة حول الجزية. فقد تم تطبيق مبدأ الجزية "عن كل رأس" عوضاً عن العائلة بكل شدة في عهد العاسيين كما نرى. وقد جرت العادة حتى بدايات القرن 8 م

أن يضع العباسيون خاتماً من رصاص على رقبة كل شخص دفع الجزية.
(111) الهدية كانت عملياً شكلاً آخر للجزية. يذكر الجغرافي العربي ابن حوقل "الهدية" بين الجزية التي كانت أرمينيا تقدمها. وخلا الجزية الرسمية، كان على الأمراء الأرمن تقديم أشياء نفيسة تحت هذه التسمية.

- ابن حوقل، الجزء 2، ص 354.

(112) كان يزيد بن أسيد السلمي 752-754م قائد ومسؤول الجباية في أرمينيا.

(113) ساهاك بقراتوني 753-770م كان أمير الأرمن. يروي المؤرخ السرياني ديونيسيوس تل محري عنه قائلاً: "كان بطريق أرمينيا الكبرى ويملك ثروات هائلة فاغتصبت الخلافة منه 100,000 عبداً. قام ضده أعداؤه وقتلوه.

- ديونيسيوس تل محري، ص 148.

(114) "عبد الله الآخر" هو أبو جعفر المنصور 754-775م ويعرف في تاريخ الخلافة العربية أنه الأكثر استبداداً ولكنه عزز أركان الخلافة الفتية بلجونه إلى أقصى الشدة ويعتبر من نماذج الحكام المكيافيليين: قتل عمه عبد الله، الذي كان بطل معركة الزاب الكبير، ثم اغتال أبا مسلم الذي بفضل كفاحه وصل العباسيون إلى السلطة. بعد ذلك، أخضع حركة الشيعة الذين كانوا يعتبرون العباسيين حكماً غير شرعيين. قام أبو جعفر بعد ذلك بإخضاع الحركة التي ظهرت في خرسان في عام 755م دفاعاً عن قضية أبي مسلم. ثم أزال الحكم شبه المستقل في طبرستان وأخضع ثورة عام 774-775م في أرمينيا بشراسة كبيرة. وكانت الأندلس مستقلة في عهده بفضل حكم فرع من عائلة الأمويين. صعد المنصور الكفاح ضد بيزنطة وحصن مدينة ميليتينييه (ملاطية-الترجم) في أرمينيا الصغرى وماسيسا (مسيس) في كيليكيا. ولتثبيت أركان الدولة، قام أبو جعفر بخلق منصب الوزير وأسند هذه المهمة للبرامكة الفرس. وكان أولهم يدعى خالد فقد كان والده برمكاً أي رجل دين بوذي. وكان دور هؤلاء الوزراء كبيراً في ازدهار اقتصاد الدولة العباسية وثقافتها. وفي عهده أيضاً، تأسست مدينة بغداد العاصمة الجديدة في عام 762م واستمرت على الحياة حتى يومنا.

.Ph.Hitti, History of the Arabs, p.290-294

- ي. بيليايف، العرب والإسلام والخلافة العربية، موسكو-1965، ص 213، بالروسية. انتهت

الشروحات

الفصل التاسع والعشرون

تحرك ملك الروم في أيامه بجيش كبير مدجج بأسلحة ثقيلة ووصل إلى مدينة كارين (يسمياها العرب قاليقلا-المتزجم) (115) التي تدعى ثيودوبوليس. عندما (احتل) الملك قسطنطين بن ليو المدينة، دمر سورها بلمح البصر وفتح الخزانة وأخذ كمية كبيرة من الذهب والفضة ووجد فيها الصليب الرباني فاصطحبه معه أيضاً. وبعد ذلك، قام بنقل جيش المدينة والساراكينوسيين القاطنين فيها مع عائلاتهم إلى بلاد الروم. ورجاه العديد من سكان المقاطعة (السماح) لإزالة وزر خدمة الإسماعيليين ومرافقته. بعد استلام الأمر، جهّزوا ما يملكون على وجه السرعة وساروا قدماً متوكلين على قوة الصليب الرباني ومجد الإمبراطور وخلفوا وراءهم مواطن ولادتهم واقتروا عنها واتجهوا لنواحي الإمبراطور النقي. أما يزيد، فقد جهّز الجيش الذي كان بين يديه في السنة التالية ووصل إلى مدينة كارين وفرض جزية (116) على كل رأس في البلاد وجمع جمعاً كبيرة وعين عمالاً ومعلمين مهنة للسهر على إعادة بناء وترميم سور المدينة بهمة ونشاط ثم نقل بعض الإسماعيليين للاستيطان فيها مع عائلاتهم لمراقبة العدو والدفاع عنها ثم أمر أن تتكفل بلادنا بتأمين هؤلاء بالحاجات الحياتية من مأكل وملبس ومشرب وغيرها.

الفصل الثلاثون

لم تتوقف دسائس هذه الجموع المفسدة في بلادنا لأن أبناء بيليار (117) لم يكفوا عن ترك آثار شرورهم في كل حدب. وقد ظهر بينهم كافر يشبه الأفعى اسمه سليمان اصطحب معه أشخاصاً آثمين من أطراف فارس (118) واجتاح بأسفرجان واقترب شروراً كبيرة. فقام سهاك وهامازاسب، من عائلة الأمراء الأردزونيين، بمهاجمتهم بأعداد قليلة. فرأى هؤلاء عددهم القليل وقاموا بتطويقهم بغية قتلهم. وعندما رأى سهاك وهامازاسب أن العدو الكاسر قام بمحاصرتهم، ولعدم وجود أية فرصة أمامهم للفرار، لجأوا إلى سيوفهم وأعملوا في جموع العدو ذبحاً وتنحوا جانباً لإيجاد طريقة للخلاص. أُصيب هامازاسب بجرح عميق فسقط من على حصانه وطوقه الأعداء وقاموا بقتله. وعندما رأى سهاك مقتل شقيقه، عرض

نفسه للموت بسبب محبته الكبيرة له فقام بقطع أوتار حصانه (119) وهجم على الأعداء بقوة ورمى العديدين على الأرض جثة هامدة حتى أخذ بثأر شقيقه لكنه انكسر في نهاية الأمر وقُتل. وهكذا، قدّم هذان الأميران المنتخبان حياتيهما قرباناً فقد كانا ولدي الأمير فاهان أردزروني. بعد ذلك، أخبروا شقيقهما كاكيك والأمراء الآخرين، الذين كانوا برفقته، فاتجه هؤلاء إلى ساحة المعركة لكنهم لم يتمكنوا من اللحاق بالأعداء فعادوا بالبكاء والنحيب لدفن موتاهم. قفل الأعداء راجعين عبر الدرب ذاته فسقط سليمان بيد كاكيك أردزروني وتم قتله مع عدد كبير من محاربيه العديدين.

الفصل الحادي والثلاثون

عندما كان يزيد حاكماً، بعث رسولاً إلى ملك الشمال الذي يدعى خاقان (120) ورجاه بالمصاهرة معه كي يستتب عهد سلام بينه وبين الجيش الخزري. فأعجب به ملك الخزر وقدم شقيقته زوجة له، وكانت تدعى خاتون، وأرسل معها خدماً وخدمات عديدة لكنها توفيت بعد فترة قصيرة وزال بالتالي عهد السلام بينهما لأن الخزر اعتبروا وفاتها مكيدة وخبثاً. وبعد جمع جيش جرار، سلّمه (الخاقان) إلى أحد قواده راجطارخان، من سلالة خاتيرليتير، وأرسله ضد بلادنا التي كانت بيد يزيد. اجتاح جيش الخزر المناطق الشمالية للنهر العظيم الذي يُدعى كور واحتل مقاطعات عديدة: هيجار وكاغا وهاباند وكيغافي وشاكي وبيخ وخين وكايخجان وخوغماز في بلاد آران. احتلوا أيضاً وادي باغاساكان المرغوب وساقوا من هناك عدداً لا يحصى من رؤوس الماشية والأبقار كغنيمة. احتلوا كذلك 7 مقاطعات في بلاد الآرانيين والجيورجيين: شوتشك وكويشكابور ودزلت ودزوكيت وفيلستسيخييه وتيانيت وخيرك. وبعد جمع الأسرى والغنائم الكبيرة، قفلوا عائدين إلى مواطنهم. أما ذلك المتبخر، الذي كان يقود بلادنا أرمينيا، فلم يكن بوسعه رفع رأسه بل انكمش على نفسه واختبأ ولم يعن له دمار البلاد أي شيء. بعد وقت قصير انضم ذلك المستبد الشرس ذاته، الذي سبب ظلاماً لبلاد الآرانيين، إلى الأمير الإسماعيلي وأرسل ابنه إلى سوريا رهينة لكنه قُتل بسرعة قرب بوابات الآرانيين.

الفصل الثاني والثلاثون

سأحدث حول ذلك العاصي المدعو دزاليه (121) الذي أرسله عبد الله إلى بلاد الأرمن. كان هذا مستبداً ودموياً ويتحاشاه الجميع لعدم تحملهم. استقال بعض الأمراء الأرمن وتركوا إرثهم وفروا إلى بلاد الروم ولجأوا إلى حمى الإمبراطور قسطنطين. أما زعيم عائلة الأردزونيين كاكيك، وعندما لم يجد مكاناً يهرب إليه، انتقل بسرعة إلى حصن يدعى نكان وجمع عنده أمراء البلاد مع فرسانهم واجتاح مقاطعات زاريفاند وبوتاك وزيدرو وتاسوك وكازناك وفورمي وسورينابات (122) وغيرها في جهات آذربيجان وقام بأفعال غير محببة للرب كالمستبدين ولا يليق بالمسيحيين فقد كان يطلب الجزية بعد إعمال شتى أشكال التعذيب. وصل إلى مقاطعة هير وجاء قائد الإسماعيليين المدعو روح وجرح العديد من عناصر جيش الأرمن ولاحق الباقين حتى حصن نكان ثم طاف في مقاطعة باسفرجان لإيقاعه في شركه. وعندما أيقن زعيم الأردزونيين تحطم جيشه، لم يستمر في أفعاله المستبدة وانسحب إلى حصنه وارتاح فيه مدة قصيرة.

بعد ذلك، جاء جيش آخر لمحاربتة بقيادة محسن وأبقى الحصن مطوقاً طوال سنة كاملة. وعندما لم يفلح في القيام بأي شيء، دعاه غدرًا لإقامة السلام بينهما فاعتقله وسلمه إلى الأمير الإسماعيلي فقام هذا بتقييده بالأصفاد ورميه في السجن وتكبيده لعذابات لا يمكن تحملها مطالباً بالفضة التي قام في جبايتها في بلاد الفرس. أما هو، فلم يبخل في تقديم كل ما كان لديه من الكنوز لإيقاد حياته لكن سدىً لأنه توفي بسرعة في السجن يلفه الحزي بسبب العذابات.

بعد أن احتفظ (الخليفة) بولديه هامازاسب وهمايك مدة طويلة مكبلين بالأصفاد، وعندما رأى أنهما يزدريان إرادة الجلال الشريرة، تنازل وتصالح معهما وأرسلهما إلى بلادنا أرمينيا بحفاوة كبيرة.

الفصل الثالث والثلاثون

في تلك الأيام من حكم يزيد (123) وعبد الله الآخر، اشتدت وطأة جباية الجزية (124) في بلادنا أرمينيا لأن جشع العدو الظالم الجهنمي لم يكتفِ بالتهام جسد رعية المسيح المختارة وشرب دماءها فحسب، بل أوقع بلاد الأرمن جميعها في بؤس يصعب تحمله. توقف تعددين الفضة في البلاد فقدم كل شخص ما عنده ومع ذلك، لم يجد ما يدفعه فديةً للإبقاء على حياته. وكان الجباة يستغلون الناس بتعذيبهم بشراسة بالآت شتى ويرفعونهم على المشانق. لذلك، كان العديدون يتهربون من هذه المشاهد ويختبئون في المغارات والشقوق والحفر وبعضهم الآخر يختنق بين الثلوج أو يغرق في مياه الأنهر لأن الجباة كانوا يطالبون دفع الجزية بالفضة على كل رأس ففقد الناس كل شيء. وكان الجباة يربطون بلاد الأرمن بأصفاة الفقر والجميع يتذوقون من سعير الآتون بمن فيهم الأمراء والكبار (بشكل مساوٍ). رغم شكاوى الأمير ساهاك والكاثوليكوس تردت (125)، الذي كان من عائلة أمراء مقاطعة فاناند، إلا أن يزيداً، الذي كان مسؤول الجباية (126) في بلادنا، لم يسمع صرختها فعلت الأصوات ووصلت إلى عبد الله فدعا هذا يزيداً للمثول أمامه وأرسل مسلم بن بكّار عوضاً عنه. لم تمض بعد ذلك سنة واحدة لبكّار، عندما دعاه (عبد الله) دون سبب يذكر وبعث حسناً (127) لأن الحبث الماكر كان يبحث على تحويل بلاد الأرمن إلى مكان للتعذيب. وكان (الله) يحقق إرادة الأمراء بإرسال رفوف الجراد والبرد والمحل بسبب شح الأمطار وكانت دلائل غضبه تجاهنا.

وصل حسن بن قحطبة حاكماً لبلادنا أرمينيا وقوات عديدة بصحبته من بلاد خرسان وقامت بأفعال بذيئة وزادت من مصائب البلاد وفواجعها لأن الرب كان قد قسى أفئدتهم، كما روينا سابقاً، كي يثأر من أفعالنا الشريرة فظهر محل وجرت اضطرابات. خلا ذلك، أضاف هؤلاء على كل ذلك تحقير الكاثوليكوسيين والأساقفة وضرب القسوس بالعصي وتعذيب الأمراء وتدميرهم. لم يتحمل زعماء بلادنا كل ذلك، وكانوا يئنون من وطأة الشرور التي لا يمكن تحملها. وكان الجنود يعذبون عامة الشعب أيضاً بمختلف أنواع الشرور ويضربون بعضهم بالسياط أثناء جباية الجزية ويحصرن بعضهم الآخر بين ألواح المكابس ويعلقون آخرين من المشانق ويعرّون بعضهم الآخر عن ثيابهم في أيام الشتاء القارصة ويرمونهم في البحيرات المتجمدة بعد تعيين حراس عليهم. وكانوا يعذبون الناس بطرق وحشية شتى لا يمكنني مشاهدتها.

شروحات

(115) هاجم إمبراطور الروم قسطنطين الخامس 741-775م الخلافة في عام 752م واحتل مدينة ميليتينييه وهدم أسوارها ونقل أفراد شيعة البافليكيانيين فيها إلى ثراقيا. أفلح في جذب بعض الأمراء الأرمن إلى جانبه. والجيش البيزنطي، الذي دخل إلى أرمينيا، كان يقوده كوسان الأرمني الذي كان من منطقة أرمينيا الرابعة. طوّق هذا مدينة كارين (يسمىها العرب قاليقلا والبيزنطيون ثيودوسيوبوليس-المتروم) وكان قائدها العربي أبو كريمة يملك قوات قليلة. وكان شقيقان أرمنيان قد فتحا كوة في سور المدينة فدخل الجيش البيزنطي إليها وقتل الجنود العرب. - البلاذري، ص 199.

(116) أعاد يزيد احتلال المدينة في عام 754م وقام بترميمها باستخدام الفلاحين الأرمن عوضاً عن الجزية الفردية. وكانت هذه المعاملة سائدة في عهد الأرشاكونيين واستمرت حتى تلك الفترة. خلا الجزية، أكره حاكم أرمينيا السكان الأرمن على تأمين سبل معاش الحامية العربية. - البلاذري، ص 199.

- هـ.نالبندان، سياسة العرب الضريبية في أرمينيا، العدد 2، ص 84، 1954، مجلة "ديغيكابير هاساراككان كيتوتيونيري"، بالأرمنية.

(117) استُخدمت كلمة بيليار في الإنجيل مرة واحدة ويُقصد بها الشيطان دون شك. - معجم الكتب المقدسة، القسطنطينية، 1881، ص 95، بالأرمنية.

(118) يشير المؤرخ إلى آذربيجان عندما يقول في جهات فارس فقد كانت بلاداً إيرانية ولها سكان يتكلمون بالفارسية.

(119) كان الأشخاص الذين يهدفون القتال حتى النهاية يقطعون أوتار الخيل لعدم التفكير في الهرب.

(120) ملك الشمال كان خاقان الخزر. وحسب المصادر العربية، وللتخلص من اجتياحات الخزر المستمرة وكانت أرمينيا أول ضحاياها، لجأ يزيد بن مزيّد كذلك المنصور إلى الخطوة التالية: طلب الحاكم يزيد من ملك الخزر أن يزوجه ابنته فأرسلها الخاقان (شقيقته حسب المؤرخ غيفونند) على رأس وفد

كبير مؤلف من 10,000 من أشرف الخزر يحملون 100,000 درهماً و 1,000 فرساً و 1,000 بغلاً و 10,000 جملًا خزرياً وأشياء ثمينة أخرى عديدة جداً. لكن استمر زواج خاتون من يزيد سنتين و 4 أشهر فقط لأنها توفيت. بناء على غيفوند، نظر الخزر إلى وفاة ابنتهم بريية واعتبروها مكيدة فاجتاحوا أراضي الخلافة في عام 762م ورغبوا في احتلال دربند (باب الأبواب) لكن سددى واجتاحوا المناطق المتاخمة لبحر قزوين (شيرفان) وبعد أسر 50,000 شخصاً قفلوا راجعين إلى بلادهم.

لم يكتب غيفوند حول هذه الاجتياحات، بل ذكر اجتياحهم في عام 764م وكان قائدهم راجطارخان ويسميه المؤرخ العربي اليعقوبي راسطارخان وجاء ك أستارخان عند الطبري.

احتل الجيش 9 نواحي من بلاد آران الأصلية: هيجار (هيجيري) وكاغا (كاغاداشت) وفوستان مارزبانان (فوستان ي مارزبان) كيغافو وشاكيه وبيخ (بيغ) وخيني (يغني) وكامبيخان (كامبيجان) وخوغماز. أما في المناطق القريبة من بحر قزوين (شيرفان)، فقد احتلوا هاباند (كازبك) التي يعتبرها غيفوند آران. وتعرضت مناطق فيرك بدورها (شرقي جيورجيا-المترجم) لاجتياحات الخزر واحتلوا مقاطعات شوتشك (شوجك) ودزبلدت (دزبلت) ودزويكيت وفيلستسيخييه وتيانيت ويرك (خيرك). أما في مقاطعة كوكارك الأرمينية، فقد احتلوا منطقة كويشكافور (كويشابور).

- أرتامانوف، تاريخ الخزر، ص 241-244، بالروسية.

(121) من المحتمل أن "دزاليه" هو صالح بن السباعي الكندي حاكم أرمينيا. يعود غيفوند هنا إلى الخلف ويذكر سلف يزيد.

(122) علينا التفتيش عن مواقع زاريفاند وفورمي وسورينابات وبوداك وزيدرو وتاسوك في باسفرجان في وسط بحيرة أورمية في مقاطعة بارسكاهايك (أرمينيا الفارسية-المترجم) أو حول هذه البحيرة. من المحتمل أن كازناك هي مدينة كانتسك التجارية الواقعة جنوبي-شرقي البحيرة.

(123) أصبح يزيد بن أسيد السلمي حاكم أرمينيا 3 مرات في 752-754م و 759-769م و 775-780م إلا أن غيفوند لا يذكر ذلك بل يتحدث هنا حول فترته الثانية ويقول أن بكراً بن مسلم 769-775م خلفه ثم حسن بن قحطبة 771-775م من بعده.

(124) من ميزات الحكم العربي اللافتة للنظر أكثر من غيرها السياسة الضريبية القاسية. انتظمت الأمور الضريبية كيفاً وكماً بشكل نهائي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك وكانت الجزية فرضاً على جميع غير المسلمين وتُدفع عامة كالتالي سنوياً: الأغنياء 48 درهماً فصيلاً وأصحاب الأحوال المتوسطة 24 درهماً

أما الفقراء 12 درهماً. ويجب دفع الجزية نقداً فقط. وكانت الجزية تجبى في أرمينيا وغيرها من البلدان عن كل أسرة حتى القرن 8 م بينما تجذرت ضريبة الرأس على كل فرد في عهد العباسيين. كان الخراج (ضريبة الأرض) إجبارياً على الجميع بغض الطرف عن الدين وكانت تُدفع حسب مساحة الأرض ونوعية الإنتاج وكميته. وكان الخراج في عهد الأمويين يُدفع من الإنتاج إلا أن العباسيين كانوا يجبونه بالفضة نقداً. وإلى هذه الظاهرة يشير غيفوندي عندما قال أن تعدين الفضة انتهى أي كميات الفضة المستخرجة من المناجم لم تكف لدفع الضرائب المفروضة لأن الخلافة كانت تطالب إيفائها بالنقود. وكانت الخلافة تحصل على كمية من محصول الفلاح تتراوح بين خمس الإنتاج ونصفه.

أما الضريبة العينية الطبيعية، فقد كانت تتألف من القمح في العهد الأموي. ومن أجل احتياجات الجيش كان السكان مكرهين على تقديم الأكياس والحبال والقفازات. إلا أن الضريبة العينية في عهد العباسيين كانت مختلفة كاملة ومؤلفة بالنسبة لأرمينيا من 20 سجادة و580 قطعة قماش و10,000 رطل من سمك السورماهي المملح و10,000 رطل من سمك التريخ المملح و30 صقر و200 بغل. كانت ولاية أرمينيا (المؤلفة من أرمينيا التاريخية ومناطق جيورجيا الشرقية "فيرك" وبلاد آران وشيرفان ودريند) تدفع جزية سنوية للأمويين نقداً مبلغ 4,000,000 درهماً فضياً، لكن ارتفع هذا الرقم في عهد أول الخلفاء العباسيين في النصف الثاني من القرن 8 م إلى 13,000,000 درهم فضي. حُفِضت الضريبة وعادت إلى سابق عهدها في النصف الأول من القرن 9 م. وبناء على المستشرق بالتاريخ الأرمني ج. لوران، شكلت الجزية 9,000,000 درهماً والخراج 4,000,000 درهماً.

Laurent, L'Armenie, p-161

خلا الضرائب النقدية، كان السكان الأرمن مكرهين على تأمين حياة الحاميات العربية من مأكّل ومشرب في المدن والقرى وكان العامة يُجبرون أيضاً على أعمال السخرة في البناء والأشغال الشاقة الأخرى.

- آرام تير غيفونديان، أرمينيا والخلافة العربية، ص 193-202، بالروسية.

(125) سعد ترددات الأول أوتيتسي على كرسي الكاثوليكوسية في 741-764م.

(126) لا يستخدم غيفوندي تعبير حاكم أرمينيا العربي، بل تعبيرات أخرى كالفائد وزعيم الأمة وقائد القضاء والحباية.

(127) هذه هي الدورة الثانية لحكم الحسن بن ققطبة 771-775م. وبسبب طباعه الشرسة، أغضب شعب أرمينيا فقام بالثورة في عام 774-775م. انتهت الشروحات

الفصل الرابع والثلاثون

سأروي هنا حول الشرور الوحشية التي قام بها الإسماعيليون. عندما رأى أمراء أرمينيا الخطر الرهيب المحدق فوق رؤوسهم، بادروا إلى تحقيق شيء ليس بوسعهم إنجازه بسبب عددهم القليل وخاصة أنهم آثروا على الموت ببسالة عوضاً عن الاستمرار على حياة مليئة بالفواجع فقاموا بثورة ورفضوا الخضوع لإسماعيل. قامت هذه الأحداث في البداية على يد أرتافازد من عائلة الماميكونيانيين الذي اتجه إلى العاصمة دفين (ديبل حسب لفظ العرب- المترجم) وجمّز جيشه بشكل جيد وحصل على السلاح وأعدتة حربية وبدا مخلصاً لجيوش الإسماعيلي ويرغب في محاربة أعدائه. ابتعد عن محيطهم ووصل إلى قرية كومايري في مقاطعة شيراك وقتل الجاني الرئيسي وحمل كل ما لديه ثم توجه نحو أطراف بلاد الجيورجين مع عائلته مصطحباً عدداً كبيراً من أمراء بلادنا. فوصلت الأخبار إلى مدينة ديبل أن أولاد همايك اقترفوا جرماً مراً كهذا فجمع محمد جيشاً كبيراً على وجه السرعة (واصطحب) سمبات بن آشوت، قائد الأرمن، وبعض الأمراء ولاحقهم ووصل حتى مقاطعة بلاد الجيورجين التي تدعى سامتسخيه (128) واحتل المضائق واستولى على قسم من الغنيمة وسدد إليهم ضربات حتى هربوا من بلاد الأرمن. أما هم، فقد التجأوا إلى بلاد اليكيريين (129) واستلم هو (أرتافازد) حكم بلاد اليكيريين كذلك فيريا أو فيرك.

اغتاظ الحاكم (القائد) حسن بسبب هذه الأحداث أكثر من السابق وأرسل أشخاصاً إلى جميع مناطق سيادته على وجه السرعة وأمر بجمع الجزية باللجوء إلى أعمال الشدة فازداد أنين بلادنا كثيراً من ممارسات الجباة لأن تعدين الفضة في بلادنا أرمينيا كان قد توقف كاملاً. وعند هذا الحد، امتلأ صدر أحد الأمراء بغضب عارم وهو موشيع بن هراهاد من عائلة الماميكونيانيين فجذب إليه بعض أمراء البلاد

وخرج عن طوع الإسماعيلي ووجد بعض أبناء إسماعيل في مقاطعته كانوا يطالبون بتعويض دم
المقتولين من بني قومه فقام باعتقالهم وقتلهم بالسيف ثم انتقل إلى قلعة أرتاكيرس مع عائلته.
اتجه موشيغ مع 260 شخصاً إلى مقاطعة باكريفاند في ذلك الوقت. وبعد اعتقال الجباة مع (رئيسهم)
المدعو أبو مجور ومن في صحبته، قتلهم جميعاً بالسيف. وهكذا، توقفت عمليات الجباة في جميع مناطق
بلادنا في الوقت ذاته. عندما وصلت (الأمر) إلى هذا الحد، اجتمعت لديه الجموع التي تشعر بالأسى
والعذاب. بعد ذلك، قام الأعداء ضده في كل حدب. وكان 200 من أبناء الإسماعيليين قد وصلوا إلى
مدينة كارين (قاليقلا حسب لفظ العرب- المترجم) مدججين جيداً بالسلاح فقام ليلاً واتجه نحو قرية
خارس على رأس بعض المقاتلين القليلين، حيث كانوا قد عسكروا في كرم، فطوّقهم وهدم جدران
المزرعة الضعيفة المصفوفة مدامكها دون ملاط وفطس العديدون منهم تحت أقدام الخيول المرتعدة
بسبب جلبة سقوط الأحجار فقام موشيغ بجمع الأسلحة والغنائم والخيول وجميع الأعتدة الحربية ووزعها
على قواته ثم اتجه نحو قلعته.

عندما وصلت أبناء هذه المؤسسة إلى ديبيل إلى القائد الإسماعيلي محمد، سمع أصوات استهجان عديدة من
كل حدب وقام بجمع قواته في مدينة ديبيل وسلم قيادتها لقائد يدعى أبو نجيب للثأر من أجل دماء
المقتولين. اصطحب القائد 4,000 فارساً من المنتخين وعبر الطريق الملكية بحذر ووصل إلى قرية
باكافان في مقاطعة باكريفاند. جاء موشيغ إليها أيضاً مع حوالي 200 من مقاتليه واصطدم الطرفان
ووصل الرب بسرعة لمساعدة قوة موشيغ وبعد توجيه ضربات عديدة أبادوا الجيش المعادي ثم عادوا
من حيث أتوا محملين بغنائم العدو الكبيرة. أفلح العدد القليل من المقاتلين العرب في الفرار والوصول إلى
مدينة ديبيل فتظاهر ضدهم الرجال والنساء واستقبلوهم بالبكاء والنحيب وذرّ التراب على رؤوسهم
وضرب جبهاتهم وتمزيق ثيابهم وملأ صراخهم وعويلهم شوارع المدينة الواسعة. ودبّ ذعر كبير بين قوات
الساراكينوسيين ولم يتجاسر عناصرها للخروج من المدينة بل لجأوا إلى حى تحصيناتها.

عندما أيقن أمراء أرمينيا بنجاح هذه العمليات، انضم الجميع بثقة إلى ذلك الرأي غير الحكيم اعتقاداً منهم
أن حكم الإسماعيليين قارب على الانتهاء وخاصة بعد أخذهم مشورة أحد الناسكين المتوحدين (130)
الذي قام بتضليلهم والتنبؤ بالفاظ خرافية باطلة قائلاً: "حلت ساعة خلاصكم لأن عصا الملكية ستعود
إلى سلالة بني طوركوم (الأرمن- المترجم) للثأر من أمة إسماعيل. أما أتم، فلا ترتعدوا منهم بسبب قلة

عددكم، لأن الواحد منكم بوسعه أن ينتصر على الآلاف منهم والإثنان على عشرات آلاف لأن الرب هو الذي سيخوض حركم فاثبتوا ولا ترتعدوا”.

كان هذا يروي حلمه الكاذب لكن المحبب في النفوس يوماً بعد آخر فأمن جميع هؤلاء وكانوا ينعتونه بـ (النبي) المتبصر. صدق هؤلاء هذه الكلمات الكاذبة فأثاروا القائد الكبير آشوت بن سمبات للموافقة على تلك المشورة فخان أفكاره الثابتة التي لا تقهر مكرهاً وسار خلف ذلك الرجل المضلل الأحمق. أما جميع أمراء أرمينيا، فقد اجتمعوا في مكان وأقسموا وتعهدوا على العيش أو الموت سوية. وصل عدد المجتمعين إلى 5,000 شخص بفضل انضمام العامة من الشعب إلى قواتهم. ثم توجهوا من هناك لمحاصرة مدينة ثيودوبوليس، أي مدينة كارين، (قاليقلا حسب لفظ العرب-الترجم)، وقاموا بتطويقها وهم يشنون عليها هجمات طوال فصل الشتاء بتنصيب الأبراج وخرق الأسوار من الخارج وفتحوا فيها كوات لكنهم لم يتمكنوا من عمل أي شيء خلا قتل بعض سكان المدينة بأحجار المنجنيقات. أما آشوت بن الأمير ساهاك من عائلة الأمراء البقراطينيين، الذي كان يتمتع بمملكة الحكمة، لم ينضم إلى هذا العمل المضّر الذي يمكن أن يسبب الويلات، وكان بدوره ينصحهم في هجر مشورات الناسك المضرة والانتباه إلى أرواحهم وعائلاتهم قائلاً: “أتم يافعون وأصغر سنأً وليس بوسعكم مقاومة التنين المتعدد الرؤوس لأنه عظيم القوة ولديه (قوات) جرارة بين يديه وزاد لا يحصى من السلاح في مستودعاته. وجميع الممالك، التي قامت ضد سيادته، تفتتت كجرة الفخراي ولم يكن بوسع مملكة الروم أيضاً رفع يديها، بل ارتعدت أمامه مرتجفة ولم تتجاسر في معارضة المشيئة الربانية. أتم بدوركم على يقين من قوة ملك الروم الكاملة وبسالته الشخصية وجموع جيشه الكبيرة واستعداداته إلا أنه لم يدر في خله قط اغتصاب بلادنا أرمينيا من بين يديه. هذا هو قسطنطين بن ليو الذي صارح في يوم من الأيام الحيوانات الكاسرة الرهيبة وقتل الأسد كالجدي الصغير. هذا الشخص، الذي يملك كل هذه القوة، عُلب على أمره من رعب المفترس السام. أما أتم، فعلى من تستندون أو كيف يمكنكم مقاومة سلطته التي لا تُقهر وبأية قوة؟ لذلك، فإن تحلو لكم مشورتي إسمعوا لأنني أجد فيها منفعتكم ومصالحكم وهدوء بلادنا و(للمشكلة) مخرجان: عليكم العودة وإطاعتهم والعيش بهدوء وسلام في بلادكم أو الفرار والابتعاد عنها مع عائلاتكم وترك إرث آباءكم خلفكم: مواقع سكنكم وغاباتكم وحقولكم وقبور آباءكم والاتجاه إلى ملك الروم والعيش كغرباء. وحتى في حال عدم سقوطكم مباشرة بين يدي مزعجكم وإنهاء حياتكم بموت زؤام، فإنني أعلم بعادات الأمير الإسماعيلي الكافرة جيداً وخاصة أنه لن يتراجع حتى يأخذ بثأره”.

لم يقبل هؤلاء بنصيحته المفيدة، بل استهزأوا به واعتبروا مشورته مكرماً فقد كانوا قد آمنوا جداً بكلمات ذلك الرجل الدجال الضالة الذي كان يحثهم كل يوم بالثبات بقوة على العمل الذي تم اقتراحه وألا يتوهوا بسبب التردد. وظهر إفلاس عنادهم، الذي لا يمكن تقويمه، بسرعة حول المشورة الحمقاء لأنهم تفرقوا عن بعض: ظل أمراء عائلة الأردزرونيين هامازاسب وأشقاؤه وجيشه في باسفرجان كذلك بقي فاساك بن أشوت وأفراد عائلتي الأماطونيين والدرونين وبعضهم في قلعة قرية تاريونك ووادي ماكو والبعض الآخر في وادي آراكغت يطوف في المقاطعات المجاورة لتأمين الحاجات الحياتية ثم كانوا يعودون إلى تحصيناتهم.

أما القوات الطاجيكية، التي كانت في مدينة ديبيل، فقد اجتاحت المقاطعات المجاورة وقامت بنهبها وإهراق الدماء في قرى بدغونك وطلين وكوغب وغيرها من المواقع العديدة وقتل العديدين بالسيف. عندما حل فصل الربيع، شكل الأمير الإسماعيلي جيشاً لإرساله إلى بلاد الأرمن وجمع 3,000 من فرسانه المنتخبين بخيول وتسليح جيدين وسلمه إلى قائد يدعى عمر وودعه من تلك المدينة الواسعة الشهيرة التي تدعى بغداد كان عبد الله ذاته قد شيدها بعد إحاطتها بسور حصين وقوي لدرء الخطر عنها. تحرك القائد من موقعه ووصل إلى بلاد الأرمن عبر سوريا ودخل إلى مدينة خلاط (أخلاط حسب لفظ العرب- المترجم) بجذر كبير بعد تجهيز الأسلحة. وعندما أصبح داخلها، استفسر من السكان حول أوضاع جيش الأرمن: عن عدد عناصره وقواده وهل هم على وفاق وبواسل أم لا وهل تسليحهم جيد أم لا؟ وبعد الحصول على تلك المعلومات، قام بترتيب قواده حسب تلك المعطيات. أما أشوت بن ساهاك، الذي كان في المدينة، فقد أعلم أمراء الأرمن حول وصول الأعداء وطلب منهم الاجتماع في مكان معين كي يعيشوا معاً أو يموتوا سوياً. لكن، بدت معلومات رسالته إليهم غير معقولة معتقدين أنه يرغب في إعتاق حصار المدينة (كارين) بخيانة مآكرة كي يُظهر إخلاصه للإسماعيليين. وبسبب هذا التفكير لم يقبلوا بكلامه، بل كانوا يفكرون في تحقيق مشروعهم السابق. وبعد ذلك، جمع الأمراء هامازاسب وأشقاؤه، من عائلة الأردزرونيين، جيش بلاد باسفرجان كذلك أمراء عائلة الأماطونيين جيشهم ودعوا فاساك بن أشوت، شقيق القائد سمبات من عائلة البقراتونيين، وجيشه لدعمهم وتحركوا نحو ناحية أرجيش لتدميرها حتى أساساتها وقتل جيشها بالسيف. وعندما وصلوا إلى قرية بيركري في مقاطعة أريبران، انتظروا كي يصل الباقون وتمكنوا من جذب العديد من العامة للاشتراك معهم في الحرب كمشاة. وبينما كانوا يستعدون لتحقيق المشروع، وصلتهم أخبار على وجه

السرعة حول جيش إسماعيل فقد جاء أحدهم وروى لهم أن جيش أبناء إسماعيل وصل وهو ينتظرهم. لم يصغ إليه زعيم عائلة السيونيين هامازاسب، بل قام بتعذيبه بالضرب بحجة نشر الإشاعات وبخيلاء كبير اتجه بجيشه ضد ناحية أرجيش. وعندما دنوا من البلدة، أعلم سكان مدينة أخلاط عمراً حول وصول الأمراء الأرمن. فتقدم مع جموع قواته ونصب كميناً في قرية أرجيش. وبينما كانت قوة الأرمن تكافح ضد القلعة، خرج المتوارون من الخائب وهاجموا الجيش الأرمني وأكروه على الفرار وقتل معظم المشاة من العامة الذين كانوا عراة ودون أسلحة أو خبرة في الحرب. أما الباقون، وبسبب خوفهم من القدر الغامض، رموا بأنفسهم في مياه النهر وماتوا غرقاً. قُتل من الأمراء 4 أشخاص: ثلاثة منهم من عائلة درونيانس والرابع من قرية أوردزا وقتل من جموع العوام 1,500 شخصاً. أما الباقون، فقد لجأوا إلى الفرار وبالكاد تمكنوا من إنقاذ أرواحهم. جرت تلك الفاجعة الشريفة الجهنمية في الرابع من شهر هروديتس المصادف ليوم السبت (25 نيسان). وقد لاحق الأعداء جيش الأرمن حتى المكان الذي يدعى قرية داي ثم توقفوا عن ملاحقته وجرى احتفال كبير في معسكرهم.

كانت بلادنا أرمينيا في عذاب أليم في هذا الوقت بينما كان الأعداء الكفار في حال من الاغتياب والفرح. وبعد استراحة قصيرة، عادوا للهجوم واتجهوا نحو الطريق الملكية عبر أباهونيك ووصلوا إلى قرية أردزني في مقاطعة باكريفاند وعسكروا هناك قرب شاطئ النهر الذي كان يجري من خلالها. وكان بينهم جميع أنواع مهنيي الأسلحة الذين كانوا يصنعون أسلحة الحرب والأعتدة المختلفة.

أما القوات التي طوّقت مدينة كارين، فقد أوصلت (سكانها) إلى اليأس لأن الجوع فيها كان قد اشتد وكانوا يستعدون لتسليم المدينة لهم. لكن، وعندما وصلت أنباء اندحار القوات (الأرمنية) إلى مدينة كارين، عندئذ فقط يئست قوات الأرمن المقاتلة ورفعت الحصار عنها. ورغم إمكانية الاتجاه إلى طرف الروم وإنقاذ أرواحهم من المستبدين الأشرار، آثروا على الاستشهاد عوضاً عن ضياع البلاد ومشاهدة تحقير كنائس المسيح. ومع أن عددهم كان قليلاً مقارنة بالأعداء، فقد لجأوا إلى العذاب طوعاً وجمعوا قواتهم، التي يصل عدد محاربيها إلى 5,000 شخص وابتعدوا عن مدينة كارين وعبروا حدود باسين نحو مقاطعة باكريفاند. وبعد عبورهم نهر أراذزاني (من فروع الفرات-الترجم) مباشرة، قاموا بمهاجمة العدو ببسالة بعد وضع ما يملكون مع حيواناتهم على بعد 2 أسباريز (مقياس أرمني يعادل ميل واحد-الترجم) من المكان وجهزوا أنفسهم لمحاربة العدو كمشاة. وقامت قوات العدو بدورها باستعدادات عديدة جداً.

بعد شروق الشمس مباشرة، بدأت المعركة. وعندما تصادم الطرفان، سدد جيش الأرمن ضربات قوية في البداية وأكراه الأعداء على الفرار وقتل العديدين منهم. (لكنهم) استردوا رص صفوفهم وعادوا وملأوا قلوب العامة من المحاربين بالهلع واضطر بعض الأمراء والفرسان على الهرب مع مقاتليهم وقتل العديدون من الآخرين وانتشرت جثثهم على الساحة.

أما الشهداء الأبطال، ورغم أن عددهم كان قليلاً، إلا أنهم لم يرتعدوا في لحظة القدر المرة، بل اجتمع الكل متراسين وكانوا يشجعون بعضهم بالكلمات التالية: “لنمت ببسالة من أجل بلادنا وأمتنا كي لا نرى بأم أعيننا تحوّل مواقعنا المقدسة وأمكنة تمجيد الرب موطن قدم وتنجيسها ولتتوجه سيوف الأعداء ضدنا أولاً ثم ليعملوا ما يرغبون. لنضحّي بأنفسنا من أجل الإيمان الحقيقي لا لمحبة الحياة الدنيوية لأنه توجد حياة أبدية مقابل هذا الموت المؤقت”. بهذه الكلمات التشجيعية رفعوا عيونهم نحو السماء طالبين من العلي القدير المساعدة قائلين: “إلهي!، وجه نظرك إلينا واهرع لنجدتنا وليخجل هؤلاء كثيراً الذين يطالبون بأرواحنا. أما نحن يا رب، فإننا نلفظ اسمك في محنتنا ونمجده لأن الأشرار الذين لا يمكن إحصاء عددهم يبقوننا في الحصار ويدنونا منا مخاض الموت”.

قوي عودهم بعد ذلك بمساعدة الرب ولم يتراجعوا عن قرارهم السابق رغم أن عددهم لم يتجاوز الـ 1,000 شخصاً مقابل الـ 30,000. وكما علمنا من الأعداء، قالوا أن الملائكة التي ظهرت لهم بهيئة بشر كانت تحارب إلى جانبهم (الأرمن). كان (الأرمن) يثأرون من الأعداء بقتلهم دون رحمة حتى تعبت أيديهم من ثقل الأسلحة فسقط بعضهم وودعوا الحياة الفانية أملاً في الحياة الأبدية. وكان هؤلاء الشهداء البواسل المرموقون من القادة هم: القائد سمبات وسهاك من عائلة البقراتونيين والقائد موشيغ وزعيم عائلة الماميكونيانيين وغيرهم الذين ليس بوسعي تعداد أسمائهم الواحد بعد الآخر. سقط حوالي 3,000 شخصاً على الساحة وكانت وفاتهم تبعث على الآسى ولم تسعهم الأرض كي يواروا في جوفها بل ظلوا في العراء تحت الشمس والغبار والأمطار والزوابع.

اشتد البكاء والنحيب في ذلك الوقت في بلاد الأرمن لأن الزعماء الكبار والقواد المبجلين اختفوا في لحظة واحدة ووقعت البلاد في حزن عميق وكانت تنتحب لنهاية المقاتلين البواسل الذين سقطوا بين أيدي العدو المتوحش الذي لا يعرف الرحمة.

الفصل الخامس والثلاثون

أما الأعداء، فقد اجتاحوا باكريفاند والمقاطعات المحاذية لها وسببوا رعباً شديداً لسكانها. وكانوا يتطلعون بعناد لتدمير معابد الصلاة وإفساد قدسية كنائس المسيح ويحطمون صلبان المسيح المنورة التي أقيمت كملجأ وفيء أمام المداخل والمخارج (للكنائس) (132) ثم يضرمون النار فيها لإزالتها من الوجود. وكان الأعداء يتعاملون أيضاً بوحشية شرسة مع القسس والناسكين الموحدين وموظفيهم كحرضي الشهداء (العصاة) في الحرب ومرشديهم. إلى جانب ذلك، كانوا يهبون آنية الكنائس في مواقع عديدة وذخائر قديسي الله. وعندما اعتنت هذه القوات الطاغية بتلك الأسلاب المسروقة من بلاد الأرمن، هاجمت القلاع واحتلتها وتعهدت لقاطنيها واللاجئين إليها بعقد سلام معهم بإعطائهم كتاب أمان وعهد بعد النزول من تلك التحصينات.

كأنه (القائد عمر) حصل على انتصار كبير ومجيد، ابتعد عن بلاد الأرمن واتجه إلى بلاد الفرس رغبة منه لمقابلة الأمير الإسماعيلي كي يحصل على أجر لقاء خدمته المخلصة له. لكن، نزلت عليه دينونة الرب العادلة ففطس في بلاد فارس جراء آلام مبرحة شديدة واستحق عن حق الثأر لأنه كان قد أهرق دماء السكان الأبرياء فلقى عقاب الله ومات بسيفه غير المنظور وهو أمضى سيف يخرق الروح والنفس والمفاصل والأدمغة. بهذا السيف، ثأر (الرب) لقاء دم أبنائه وأعطى المكروهين من قبله ما يستحقون وطهر أرض شعبه وصان أمته وأبعد العصا عنها وأضحى الناس في أمان ثانية في مواقع سكناهم.

الفصل السادس والثلاثون

أرسل الأمير الإسماعيلي في ذلك الوقت قائداً (حاكماً) جديداً لبلاد الأرمن يدعى يزيد عوضاً عن حسن. أما هو، عبد الله، وبعد أن حقق جميع نياته الشريرة وبسبب مرضه في حب الفضة، تعرض للعنة النبي ففطس في السنة ذاتها قانطاً...

الفصل السابع والثلاثون

خلفه في الحكم بعد ذلك ابنه محمد المهدي.

كان هذا شخصاً نجيباً وبأخلاق حميدة مقارنة بوالده (138). شرَّع أبواب الخزائن المغلقة من قبل عبد الله الكافر الزنديق واسعة، ووزع الهدايا لجيشه. أمر بفتح الحدود المغلقة كي يتمكن التجار بيع سلعهم وتأمين المحتاجين فازدهرت البلاد وسهل العثور على الفضة وارتاح سكان البلاد من الجباية بالإكراه والتعذيب. ورغم زيادته لوزر مبالغ الجزية، وبما أن الفضة متوفرة، استراحت البلاد بعض الشيء من العذابات المريرة وظهرت في عهده تلال (مناجم) من الفضة في بلاد الأرمن ويُدعى بضرب نقود صافية من هذا المعدن (134) لتلبية حاجات الناس.

أما هو، محمد، فقد باشر في تهديد حكم الروم وجمع جيشاً وعين شقيقه عباس قائداً وأرسله إلى بلادهم. وعندما فطس عبد الله، توفي الإمبراطور قسطنطين في السنة ذاتها فخلفه ابنه ليو. وبينما كان الخليفة يفكر في اجتياح بلاد الروم، أرسل الملك جيشاً كبيراً ضد باسانستان التي كانت تدعى بيشان. فعين الإمبراطور ثلاثة قادة للجيش: إثنان منهم من أمراء أرمينيا أحدهما يدعى تاجات، من عائلة الأندزيفاتسيين، والثاني أرتافازد من سلالة الماميكونيانين. أما الثالث، فقد كان أحد قادة الروم. تحرك القادة الثلاثة بجيوش جرارة ووصلوا إلى نواحي كيليكيا وبيشان واجتاحوا البلاد واحتلوا مدناً ومقاطعات وقرى عديدة وحولوا كل من قاومهم إلى تراب واصطحبوا معهم جموعاً كبيرة جداً من الأسرى يربو عددهم عن 150,000 وساقوهم إلى بلاد الروم وقابلوا الإمبراطور مع الغنائم الكبيرة فاستقبلهم بمدائح كبيرة وأكرم القادة بهدايا عظيمة. وسادت الهدنة في تلك السنة. انتهت الشروحات

شروحات

(128) سامتسخيه إحدى مناطق شرقي جيورجيا وهي منطقة أخالكالاك الحالية.

(129) بلاد اليكيريين هي كوغيكيس اليونانية القديمة. لم تكن ضمن الخلافة العربية في القرنين 8-9م بل

كانت خاضعة لبيزنطة إلى حد ما.

(130) من عادات هذه المنطقة اللجوء إلى نبوءات الناسكين المتوحدين وكان الثوار في عام 703م وأثناء الثورة طلبوا مشورتهم. وكان الناسك أثناء الثورة يدعو لإعادة إقامة المملكة الأرمنية المستقلة بينما يعتبرهم غيفوند دجالين ممسوسين بالشيطان وكلماتهم باطلة ومخادعة.

(131) يعادل الشهر الأرمني 19 هرودا 25 نيسان.

(132) كانت الصلبان الموضوعة قرب مخارج الكنائس ومداخلها ظاهرة عادية في القرون الوسطى. أكتشفت صلبان حجرية أثناء تنقيبات مدينة ديبيل. ويظهر أن الصلبان التي ذكرها غيفوند مصنوعة من الخشب بسبب حرقها.

- ك. غافاداريان، مدينة ديبيل وتنقيباتها، يريفان-1952، صور ص 150-151.

(133) لم تكن كلمات المديح التي كالمها غيفوند عن المهدي بسبب الانطباع الحسن الذي تركه بعد استبداد المنصور الشرس، بل لتبنيه سياسة لينة في الحقيقة. ورغم صمته المطبق حول وحشيات المنصور، أكد اليعقوبي المؤرخ العربي من القرن 9م أنه جرى تخفيف قسوة السياسة العباسية في عهد المهدي. ويعود السبب إلى أن سياسة المنصور القاسية كانت قد استهلكت قوة البلاد. وبما أن الحكم كان مستقراً، فلم تكن هناك حاجة لضغوطات جديدة.

(134) ظهرت النقود العربية للمرة الأولى في عهد الخليفة الأموي عبد الملك 685-705م وكانت الدنانير الذهبية البيزنطية والدرهم الساسانية الفضية تستخدم في الخلافة حتى ذلك الوقت. وفي عهد هذا الخليفة بالذات، اتخذت النقود العربية شكلها النهائي حيث نجد على وجهيها آيات قرآنية وأسماء الخلفاء وفي بعض الأحيان الحكام مع تاريخها بالهجري والمدينة التي ضربت فيها. وكانت النقود العربية مشكلة من الدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلس النحاسي. ويشهد المؤرخون العرب بدواعي ضرب النقود العربية الصرفة بالحادثة التالية: كان الخلفاء العرب يضعون شعار "لا إله إلا الله محمد رسول الله" مما أغضب إمبراطور الروم جوستينيانوس وطلب منهم عدم كتابة هذه الكلمات مهدداً أنه سيكتب كلمات مسيئة للرسول محمد. فقرر عبد الملك نهائياً إصدار نقود عربية صرفة.

- ابن الأثير، الجزء 4، ص 53-54.

شهد المؤرخ البيزنطي ثيوفانس أن جوستينيانوس لم يقبل بالنقود العربية الأولى بينما كان عبد الملك يطلب منه قبولها انطلاقاً من أوزانها. انتهت الشروحات

الفصل الثامن والثلاثون

كما سمعنا، بعث الأمير الإسماعيلي رسلاً متبجحاً، ورغبة منه في بث الرعب، أرسل معهم كروانان (من الأوزان الأرمنية ويساوي كل كروان = 61,5 كغ- المترجم) من بذور الخردل وكتب إلى ملك الروم قائلاً: “سأبعث جموع قواي ضد بلادك على وجه السرعة بعدد حبات الخردل ولنرى هل تتسع مساحة بلادك بحيث تستقبل جموع قواي الجرارة؟ لذلك، فإن تملك القوة بين يديك فاستعد لمحاربتني.”

لم تضطرب أفكار الإمبراطور بعد أن قرأ الرسالة، بل كتب إليه بذهن ثابت قائلاً: “ليس البشر هم الذين يحصلون على النصر، بل الله هو الذي يمنحهم ذلك ويوسعه تحويل جيشك غذاءً لجيشي كحبات الخردل التي بعثت بها فقم ونفذ ما تعهدت به وليتحقق ما يسرّ الله.” أمر الإمبراطور في الوقت ذاته بنقل سكان القرى إلى المدن والتحصينات والأبراج المحصنة. أما الأمير الإسماعيلي، فقد جمع جيشاً كبيراً وعيّن الشخص الذي ذكرناه في الأعلى قائداً وأرسله ضد بلاد الروم بصحبة هذه الجموع. وصل هؤلاء إلى بلاد الكاغاداتسيين وطوقوا المدينة الواسعة التي تدعى آموريا وتمركزت الجموع وأبقت المدينة محاصرة مدة 3 أشهر إلا أنها فشلت في احتلالها لأنها كانت محصنة بسور. ولم يكن محيط المدينة أقل فائدة للمقاومة لأن منبع نهر ساكارس كان يقع حولها لذلك فإن وحل المستنقع كان يعزز من متانة تحصينات المدينة ففشل جيش العدو في القيام بأي شيء خلا التطويق. فجمع يزيد، الذي كان حاكم بلادنا أرمينيا، جيشه وذهب لدعم القائد عباس واتجه إلى أطراف بونتوس ووصل إلى كوغونيا، المدينة-القلعة، ومقاطعات كوفاتان وكاستيغون وماريتينيس فشن الحرب ضدها إلا أنه لم يحصل على أية نتيجة فقفل راجعاً إلى أرمينيا يلفه عار كبير. ابتعدت قوات الأمير الإسماعيلي بدورها عن مدينة آموريا وفكّت حصارها وعادت إلى بلادها.

الفصل التاسع والثلاثون

علينا أن نروي أيضاً هذه الحادثة.

في السنة 7 لمحمد (135)، توفي الإمبراطور ليو بن قسطنطين وخلفه على العرش ابنه اليافع قسطنطين. وعندما سمع الأمير الإسماعيلي محمد بوفاة ملك الروم، جمع قوات كبيرة وعين ابنه هارون قائداً لها وأرسله ضد بلاد الروم. وعندما وصلت قوات الإسماعيلي إلى بلاد الروم، قامت قوات الروم بسد الطرق مباشرة فلم تتمكن قواته من فك الحصار لتأمين الغذاء فحدثت مجاعة بين صفوفها. أما الأمير طاجات بن كريكور (136) من عائلة الأندزيفاتسيين، الذي تحدثنا عنه سابقاً، فقد كان قد هرب من الأمير الإسماعيلي لعند قسطنطين في بلاد الروم في وقت ما، فاستقبله الإمبراطور بفرح كبير وأكرمه كثيراً لبسالته الكبيرة وخاصة أنه كان قد سمع عن شجاعته سابقاً. وقد برهن على بسالته للإمبراطور مباشرة في أطراف السرمديين أي البلغار وعاد حائزاً على انتصار عظيم. وعندما رأى الإمبراطور شجاعته، عينه قائداً على 60,000 مقاتل فخدم الإمبراطور مدة 22 سنة. وبعد وفاة قسطنطين وابنه ليو (137) وصعود قسطنطين على العرش، كانت الملكة والدة الإمبراطور تعامله باستخفاف، لذلك مد يده إلى الأمير الإسماعيلي.

عندما وقعت قوات الإسماعيلي في الحصار من قبل الروم، طلب منه طاجات تعهداً كي يعود إلى بلاده ووعده بإعتاق جنوده من الطوق وإعادتهم إلى بلادهم. وعندما سمع الأمير الإسماعيلي ذلك، حقق رجاءه على وجه السرعة وقدم له كل شيء تحت القسم فوثق هذا بالتعهد وخرج من بلاد الروم مع عائلته وأنقذ جيش الإسماعيلي من الحصار. فسماه هارون بن الأمير الإسماعيلي بـ "أبي" وأظهر له احترامه الكبير. وعندما حضر طاجات أمام الأمير الإسماعيلي، استقبله استقبالاً كبيراً معبراً له عن شكره الجزيل وقدم له هدايا سنوية كبيرة من الخزينة الملكية وأرسله إلى بلاده بتكريم وأبهة كبيرتين. عندما وصل الأمير طاجات إلى بلاد الأرمن بأمر الأمير الإسماعيلي، لم يرغب قائد البلاد (الحاكم) عثمان (138) استقباله وتنفيذ تعليمات أميره وتردد وأرسل رسلاً يعلم أميره أن الأمراء الأرمن مجتمعين لا يرغبون أن يحصل شخص على منصب الإمارة ثار ضد حكمك ومد يده إلى ملك الروم ومن الممكن أن يخون جيشنا ثانية.

رغم محاولات طاجات العديدة لإيصال أبناء عرقة حكمه إلى أذن الأمير الإسماعيلي، إلا أنه لم يفلح في ذلك لأنهم أغلقوا جميع ممرات الطرق (139) وكانوا يعتقلون رساله المتجهين إليه. لم تصل شكواه إلى الأمير محمد وابنه هارون حتى نهاية تلك السنة. وعندما وصلت في نهاية الأمر إلى الأمير وابنه، وقع حاكم بلادنا عثمان في موقف لا تحمد عقباه فأكره على تسليم السلطة لطاجات بناء على أمر الأمير الإسماعيلي. بعد ذلك، جمع عثمان جيش الأمراء الأرمن وسار إلى بلاد آران قرب بوابات بحر قزوين إلى مدينة تدعى دربند التي كانت قد شيدت أسواراً وتحصينات لمقاومة قوات الروم والخرز. استدعى عثمان الأمير طاجات والقائد باكرات ونرسيه كامساركان وغيرهم من أمراء أرمينيا وعسكر في سهل يدعى كيرام ضمن ظروف القيق الحارق وظلوا هناك طوال فصل الصيف فلم يتحملها الأمراء الأرمن وتوفوا بسبب الحر لشديد فاقدين حياتهم الدنيوية. توفي بدوره الأمير طاجات والقائد باكرات ونرسيه كامساركان وغيرهم من القادة. فاستشاط الأمير الإسماعيلي غضباً بسبب وفاة الأمراء مع طاجات فعزل عثمان عن الحكم وأرسل شخصاً يدعى روح (140) إلى بلاد الأرمن كأمر وقائد لها. وبعد احتفاظه بالحكم مدة 8 سنوات توفي محمد أثناء وصول روح إلى البلاد.

الفصل الأربعون

بعد ذلك خلفه ابنه موسى في الحكم مدة سنة واحدة فقط. كان هذا رجلاً شريراً ومستبداً وممسوساً بالشیطان وجامحاً. وكان الشيطان فيه يحثه بشكل كان يشعر بالنشوة والسرور باقتراف أفعال لا تجلب له السمعة الحسنة. وبدلاً من نصب دريئة للرمي، كان يستخدم الناس ويرميهم بالنبال ويقتلهم. وبعد صعوده على الحكم، أرسل إلى بلاد الأرمن شخصاً يدعى خزم (141) عوضاً عن روح كان مولعاً بالشجار وذو طباع جهنمية. وعندما وصل إلى مدينة دفين (تلفظها العرب ديبيل-المترجم)، جاء جميع الأمراء الأرمن لاستقباله كذلك الأمراء الأردزرونيون هامازاسب وسهاك وميروجان. أما العدو، الذي يكره الخير، وعندما رأى عزهم وهندامهم البهي والتنظيم الجيد للمليشياتهم، قام باعتقال القادة الأرمن الشجعان وأمر بسجنهم مدة 3 أشهر مكبلين

بأصفاً حديدية. ثم أرسل إلى الأمير الإسماعيلي موسى يتهمهم زوراً وحصل منه على أمر حرمانهم من الحياة. فبعث هذا أمر الموت والحكم غير العادل إلى السجن حيث الشهداء المعتقلون. بعد قراءة الحكم بالموت سأل المكبلون بالأصفاً شخصاً يدعى قتيبة، وكان محبوباً جداً من قبلهم، قائلين: “كيف يمكن التخلص من الموت غير العادل الذي يتهددنا؟” فرد عليهم: “ليس هناك حلاً للتخلص. لكنكم إن قمتم بالارتداد إلى ديننا والإيمان بأقوال رسولنا عندئذ فقط يمكنكم الاعتناق من الموت التأمري”. عندما سمع ميروجان هذا الأمر، ارتعدت فرائصه من الموت السريع وسلم نفسه لنار جهنم الأبدية وحطم النير الحلو المذاق لإيمان المسيح وانفصل عن قطع الرب ووقف أمام المحكمة المسكونية. وبما أنه قام بالارتداد هلعاً من الموت المبكر لا طوعاً، فمن المحتمل سيشفق عليه المسيح بسبب توبته النابعة من القلب.

أما الشهداء البواسل، فقد ارتدوا درع الإيمان وثبتوا على رؤوسهم خوذة الخلاص وقالوا: “معاذ الله! أن نستبدل الحقيقة الإلهية والحياة الأبدية بالآنية والحياة الأبدية بالحياة الزائلة الوقتية وأمل الجمع بالمسيح بدمنا الذي لا قيمة له”. وهكذا كانوا يدرّبون بعضهم أثناء سجنهم قائلين: “تمتعا بالحياة الفانية على نحو كاف لذلك أيها الإخوة لن تغرنا المناصب العالية ولا المجد الزائل بعد الآن ولا ثيابنا الباهرة المطعمة بالذهب ولا حب القريين أو عطف الأطفال”. وهكذا، وبتشجيع كل واحد منهم الآخر أثناء حزنهم في السجن، اتحدوا مع الرب عن طريق الصلاة راجين منه وراثة الحياة الأبدية. وكان مكان التعذيب مجهّزاً بأحدث شكل بنصب خشبة بفرعين على الأرض من اليمين واليسار. وضعوا الشهيد بينهما والخشبين تحت إبطيه ثم قاموا بربط يديه بإحكام وشرعوا في تعذيبه بشدة بضربه بالنبوتات على ظهره حتى تمزق جسده. أما هامازاسب المعتقل في الخارج بأصفاً حديدية، فقد كان يصلي للرب في قلبه ولم تكن شفاته تتحرك ولم يكن صوته مسموعاً، بل كان يطلب مساعدته ويلف قلبه الرعب بسبب العذاب الذي وقع فيه. قاموا بنزع أصفاده وجلبه إلى مكان التعذيب وبالشكل ذاته شدوا وثاقه بين الخشبين وقاموا بتعذيبه بأشد الوسائل. وعندما تحمّل بدوره هذه العذابات بشجاعة، أمر الجلادين بقتلهم بالسيف فقاموا بقطع رؤوسهم. وعلى هذا الشكل فاضت أرواحهم وودعوا هذه الدنيا (142). أمر (خازم) في اليوم الثاني تحديداً تعليق أجسادهم على الخشب وعين حراساً كي لا يسرق أي مسيحي جثثهم لدفنها. والقاضي المستبد، الذي لم تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً، لم يلن فؤاده حتى بعد موتهم تعذيباً، بل أنزل جثث القادة من الأخشاب وأضرم فيها النيران ولم يوافق حتى على تسليم رفاتهم

لدفنها بل أمر بذرها في مياه النهر. وبناء على أقوال الحواريين، "سيكافأ الذين تعرضوا لعذابات قاسية في هذه الدنيا بمئة ضعف في الآخرة". وبناء على قول الرب: "كل امرئ هجر والده وأمه وزوجته وأولاده من أجل اسمي، سينال 100 ضعف في الدنيا الأخرى ويرث الحياة الأبدية".
جرى كل ذلك في عهد موسى وحكم خازم في أيام ظهور ربنا المقدس في العام 133 من تأريخ الأرمن (143). وبعد سنة واحدة من حكمه توفي موسى.

تم قتل أمير الجيورجيين بعد تعذيبه أيضاً برفعه من رجليه وفصل جسمه الغض إلى قسمين ففارق الحياة كحمل صغير سيق إلى المسلخ. وبعد سنة من اقترافه لجميع هذه الشرور فطس موسى.

الفصل الحادي والأربعون

جاء بعد موسى شقيقه هارون (144) بن محمد الرجل الجشع والمحب للفضة. في أيام حكمه، كان شقيقه عبيد الله يعاديه. لذلك، قسّم دولته وقدم لشقيقه آذربيجان وأرمينيا إلى جانب شرقي جيورجيا وآران (145). وبسبب طبيعته الشريرة، عين على بلادنا حكاماً مستبدين جامحين لا يفكرون حتى في مخافة الله. عين أولاً يزيد بن مزيد وبعده بقليل عبد الكبير الذي لم يعمل خيراً ولا شراً بل كان يلهم الناس بآمال حسنة. وجاء بعده شخص يدعى سليمان الأكثر استبداداً وجموحاً وإجراماً ثم عبيد الله ذاته إلى مدينة بردعة (146) وعين سليمان (147) كأمر لبلادنا وسلمه شعب الرب كخرفان بين الذئاب المتلفين. أما هو، فقد وضع على السكان حملاً ثقيلاً من الجزية يصعب حمله لدرجة أنهم لم يتمكنوا من إيفائها حتى في حال تقديم كل ما يملكون. أرسل سليمان إنساناً مستبداً وابن خادمة وصهره، وهو من أصل رومي يدعى ابن دوكة، الذي جاء إلى مدينة ديبيل وياشر بجباية الجزية بتعريض سكان بلادنا إلى التعذيب الشرس فاجتمع جميع الأمراء والعامة من الناس مع رجال الدين والكاثوليكوس يساي بين يديه يرجونه بتخفيف وزر الضرائب لكن دون أية جدوى لأن أمة المسيحيين سلّمت غضب الله للأعداء. فقام هذا بإرسال جباة إلى مختلف أصقاع بلادنا لجمع مبلغ مضاعف للجزية عن سنة واحدة في أقصر مدة ممكنة ونقذ هؤلاء أوامره. ولما أفلح في تحقيق ذلك،

فكر ابن الشيطان هذا القيام في تطبيق دسيمة شريرة أخرى على وجه السرعة بوضع خاتم من الرصاص على رقاب الجميع مطالباً مبالغ كبيرة ثمناً لكل منها حتى وصل الناس إلى الحضيض في درجات الفقر المدقع بسبب ممارسات هذا الجلاد السيء السمعة.

الفصل الثاني والأربعون

ازدادت المآسي الثقيلة ذاتها في السنة التالية لهجيء عبيد الله لأن لا أحداً كان صاحب ما يملك بعد ذلك وخاصة أن الإسماعيليين كانوا ينهبون كل شيء فترك العديدون من الأرمن قطعانهم ومواشيهم طوعاً وتحولوا إلى لاجئين بعد هربهم لعدم تحملهم قسوة المآسي بينما كان الأعداء يسوقون الحيوانات ويسلبون كل شيء. وعندما فقدوا كل ما يملكون وأضحوا عراة حفاة وجائعين ولم يجدوا سبلاً للعيش، فرّوا (148) إلى بلاد الروم. ويقال أن عددهم كان يربو على 12,000 مع النساء والأطفال وكان يقودهم شابوه من سلالة الأمادونيين وابنه همام وغيرهما من أمراء أرمينيا وفرسانهم. ولاحق العدو المستبد الشرير (الفارين) وعبر نهر أكامسيس الذي ينبع من أطراف تايك ويتجه نحو الشمال-الغربي ويعبر بلاد اليكيريين ويدخل إلى بونتوس. وبعد عبور النهر أرسلوا إلى إمبراطور الروم قسطنطين مباشرة يخبرونه عن مجيئهم فدعا هذا أمراءهم وفرسانهم وأكرمهم وأسكن بقية جموع السكان في مناطق جيدة ومزدهرة. أما النصف الآخر، الذين ظلوا (في الوطن)، فقد استسلموا للعبودية القاسية بسبب العوز الشديد وتحولوا إلى حطّابين وسقّائين كالكابافونيين (149).

خطط هذا الرجل، صاحب الطبيعة الشيطانية والزندق السيء السمعة الذي عينه سليمان، في تنفيذ فكرة شريرة ثانية في عهد كاثوليكوس الأرمن يسايي (150). فكر (ابن دوكة) في إحصاء أملاك الكنيسة وأنتها واستدعى جميع رجال الدين إليه وأدخل الرعب الشديد في أفئدتهم مهدداً: "أنظروا! لا تخفوا عني أي شيء، بل أظهروا كل ما لديكم. فإن أخفى أحدهم أي شيء ثم تقوم بكشفه، فإنه سيتحمل لا محال خطيئة ضياع روحه بنفسه". ارتعد هؤلاء من الخطر المنذر بالمصائب فقدّموا له كل ما هو كائن في الخزائن ولم يبقَ أي شيء خافياً عليه لم يضعوه أمامه من آنية مقدسة مصنوعة بالذهب وفضة مطعمة بأحجار كريمة وثياباً ملكية كانت مهداة لهيكل الرب المقدس الممجّد. وعندما رأى كل ذلك، فكر

في سلبها جميعها إلا أنه ارتد عن نيته وأخذ من النقود والثياب ما تشتهيه نفسه وما زاد سلّمه لأمناء الكنيسة وصعد على كرسي الكاثوليكية الأسقف ستيبانوس بعد أن قدّم رشاًوى كبيرة وفرّط بما تملكه الكنيسة لتخليص قرى وخدم (الكنيسة) ودفع (الديون).

شروحات

(135) لا يذكر غيفوند تواريخ تلك الاجتياحات ضد بيزنطة بينما جاءت واضحة لدى ابن الأثير. ومن المحتمل أن الاجتياح المذكور لدى غيفوند يعود لعام 161 هـ=9 تشرين الأول عام 777-27 أيلول عام 778م. أما "اجتياح السنة التالية"، الذي وصفه غيفوند من المحتمل جرى في عام 162 هـ=28 أيلول عام 778-16 أيلول عام 779م اشترك فيه حاكم أرمينيا يزيد أيضاً حسب شهادة المؤرخين. تتطابق سنة محمد السابعة، التي ذكرها غيفوند (782م) مع التاريخ الذي قدمه ابن الأثير وهو 165 هـ=26 آب عام 781-14 آب عام 782م. ويذكر الإثنان أن ولي العهد هارون كان قائد الجيش العربي. - ابن الأثير، الجزء 5، ص 65.

(136) ذكر غيفوند الأمير طاجات أندزيفاتسي أثناء الاجتياح الأول، وذكره ابن الأثير لكن متأخراً بعض الشيء باسم البطريق طازاد الأرمني. - ابن الأثير، الجزء 5، ص 64.

يذكر غيفوند الأمراء الأرمن من القرن 8 م (أما الذين لم يذكرهم فنضعهم بين قوسين):

سمبات بقراتوني 701/703-726م

آشوت بقراتوني 732-749م

موشيغ ماميكونيان 749-753م

سهاك بقراتوني 753-770م

سمبات بقراتوني 770-775م

(آشوت بقراتوني) 775-781م

تاجات أندزيفاتسي 781-785م

(137) يذكر غيفوندا الأباطرة الروم التاليين (الذين لم يذكرهم بين قوسين):

هرقل 610-641م

قسطنطين الثاني 641-668م

(قسطنطين الرابع) 668-685م

جوستينيانوس الثاني 685-695م

ليونتيوس 695-698م

تيبيريوس 698-705م

جوستينيانوس الثاني 705-711م

(فاردان فيليبيكوس) 711-713م

(أناستاسيوس) 713-715م

ثيودوسيوس 715-717م

ليو الثالث 717-741م

قسطنطين الخامس 741-775م

ليو الرابع 775-780م

قسطنطين الرابع 780-797م

- تاريخ بيزنطة، الجزء 3، ص 382، بالروسية.

(138) "زعيم الأمة عثمان" هو الحاكم عثمان بن عمارة بن خُرِيم 783-785م. كانت علاقاته متوترة مع

أمير الأرمن تاجات أندزيفاتسي. إن تلميذ الحاكم العربي أن الأمراء الأرمن لا يرغبون أن يصبح تاجات

أمير الأرمن من المحتمل يعود إلى تطلعات البقراتونيين الذين كانوا يحاولون إبقاء منصب أمير الأرمن

حكراً ضمن عائلتهم وراثياً.

(139) كانت للخلافة شبكة واسعة للبريد وتقع جميع طرقها تحت إدارة مصلحة البريد. ولتنقل الرسائل،

كانوا يستخدمون الخيول والجمال والحمام الزاجل. وكان البريد يفسح المجال للبلاط العربي بالاتصال

المباشر مع المقاطعات.

(140) "روح" الذي ذكره غيفوندا هو حاكم أرمينيا روح بن هديم المهلبى 785-786م.

(141) "خزم" المذكور كان حاكم أرمينيا ويدعى خزيمة بن خازم الدميبي 786-787م.
(142) موقف غيفوند العدائي تجاه سلالة الأمراء الأردزرونيين الأول ليس له تبريراته. ويمكن التخمين، أن صعود قوتهم السريع في القرن 8 م أزح حكام أرمينيا العرب: استولى الأردزرونيون تدريجياً على جميع إقطاعات سلالة الأمراء الأرمن الرشتونيين بينها جزيرة أختامار. وكان الأردزرونيون قد حصلوا قبلاً على مقاطعات الأمراء الأماطونيين أيضاً وبذلك أضحو الملاك الحقيقيين لمناطق باسفرجان الفسيحة والسلالة الثانية بعد الأمراء البقراتونيين.

إن تلميح غيفوند أن الحاكم العربي كان يضمراً شراً بعد مشاهدة عزهم وبهاء طلعتهم، يُكرهنا على التفكير أن سبب عدائه يكمن فعلاً في صعود قوة الأردزرونيين.

إن استشهاد الشقيقين الأردزرونيين ساهك وهامازاسب أضحى موضوعاً في فن العمارة فتم نحت صورتيهما على الجدار الخارجي لكنيسة جزيرة أختامار المكرسة للصليب المقدس في القرن 10م.
(143) بدأ التأريخ الأرميني الكبير في القرن 6 م واستخدم مدة طويلة لاحقاً. وكان المؤرخون الأرمن بين القرنين 5-7م يحسبون التاريخ بعدد سنوات حكم الملوك. لم يستخدم المؤرخ الأرميني سيبيوس من القرن 7 م التأريخ الأرميني. ورغم استخدام التأريخ الأرميني في المدونات منذ النصف الأول للقرن 7 م، نجد أن تثبيت حادثة تاريخية بالتأريخ الأرميني مستخدم على السطر الأخير من كتاب أنايا شيراكاتسي ويذكر أن أمير الأرمن كريكور ماميكونيان قُتل في عام ج.ل.د. بالتأريخ الأرميني أي في سنة 695م. وهناك أمثلة عديدة حول هذه الناحية. أضحى استخدام التأريخ الأرميني طبيعياً بعد غيفوند.
- آرام تير غيفونديان، أرمينيا والخلافة العربية، ص 230-232، بالروسية.

(144) رغم تجسيد الخليفة هارون الرشيد 786-809م كملك عادل في "ألف ليلة وليلة"، إلا أن المؤرخين المعاصرين له يقدمون صورة مغايرة تماماً لنشاطاته. وقول غيفوند أنه كان طماعاً ومحباً للفضة، يعود للضرائب الثقيلة جداً التي فرضها على أرمينيا إلى درجة تفكير شعبها وتركه في حال يرثي لها. نقدم هنا جدول الخلفاء العرب الذين يتحدث عنهم غيفوند في كتابه:

أبو بكر	632-634م	يزيد الثاني	720-724م
عمر	634-644م	هشام	724-743م
عثمان	644-656م	الوليد الثاني	743-744م
علي	656-661م	يزيد الثالث	744م

م744	إبراهيم	661-680م	معاوية
744-750م	مروان الثاني	680-683م	يزيد الأول
750-754م	أبو العباس السفاح	683-684م	معاوية الثاني
754-775م	أبو جعفر المنصور	684-685م	مروان الأول
775-785م	المهدي	685-705م	عبد الملك
785-786م	الهادي	705-715م	الوليد
786-809م	هارون الرشيد	715-717م	سليمان
		717-720م	عمر

.Ph.Hitti, History of the Arabs, p.139,193,279,297

(145) يعود تعبير غيفوند إلى "ولاية أرمينيا العربية" المشكلة من قبل العرب وكانت تضم أرمينيا التاريخية والمناطق الشرقية من جيورجيا وبلاد آران والمناطق القريبة من بحر قزوين (شيرفان) وباب الأبواب (دربند). وعندما يذكر غيفوند آذربيجان قبلها، فإنه يعني أن جميع هذه المناطق أُسندت إلى عبید الله كئائب للخليفة في المنطقة الشمالية.

(146) كان سليمان أول حاكم لأرمينيا تركز في مدينة بردعة التي أضحت أحد مركزي الحكام العرب في أرمينيا إلى جانب عاصمة أرمينيا ديبيل.

- آرام تيرغيفونديان، حول مسألة قيام إمارة ديبيل في أرمينيا، دراسة في كتاب الأكاديمي الأرميني هوسيب أوربيللي (كان مدير متحف الإرميتاج- المترجم) موسكو-لينينغراد، 1960، ص 133-139.

(147) بعض الحكام العرب في أرمينيا المعروفين لدى المؤرخ غيفوند:

محمد، عبد العزيز، مسلم (مسلمة)، الجزي (الجراح)، سيت هاراشي (سعيد الحرشي)، مروان بن محمد، إسحاق بن مسلم، يزيد بن أسيد، بكار بن مسلم، حسن بن قطبة، عثمان، روه (روح)، خزم (خزيمة)، يزيد بن مزيد، عبد الكبير وسليمان. الجدول الكامل للحكام العرب في أرمينيا:

- آرام تير غيفونديان، كرونولوجية الحكام العرب في أرمينيا، "أكاديمية علوم أرمينيا، مجلة" باتاباناسيراكان هانديس"، العدد 1، ص 117-128، 1977، بالأرمنية.

(ترجم هذا الجدول الطويل د. ألكسندر كشيبيشان في كتابه المترجم عن الأرمنية "ضرب النقود العربية في أرمينيا).

(148) وصلت هجرات الأمراء الأرمن والتابعين لهم أثناء الاحتلال العربي لأرمينيا إلى نسب تبعث على الرعب. إن هجرة عائلات الأمراء (التي كانت بداية للهجرات الأرمنية) بدأت بعد سقوط مملكة الأرشاكونيين الأرمن وكانت مختلف فروع عائلتها تهاجر من مناطق أرمينيا الغربية على وجه الخصوص مع عنصر العوام. وصلت الهجرة في القرن 8 م إلى قياسات كبيرة جداً وكانت بيزنطة تمتص خيرة قوى أرمينيا التي كانت تدخل في خدمة بلاط القسطنطينية وجيشها وصعد على عرش بيزنطة سلسلة طويلة من الأباطرة الأرمن. فقام الخلفاء وحكامهم بتوطين هذه المناطق الأرمنية بمستوطني القبائل العربية. - ليو، تاريخ الأرمن، الجزء 2، ص 400-411، بالأرمنية.

- آرام تير غيفونديان، الإمارات الأرمنية في أرمينيا البقراطية، ص 29-33، بالأرمنية. (ترجم د. ألكسندر كشيديشان الكتاب الثاني إلى العربية).

الهجرات الأرمنية في جميع العصور منذ القدم كانت بسبب غياب الدولة الأرمنية وظهر ذلك جلياً جداً وخاصة أثناء الاحتلال العربي القاسي. وكانت هناك عقود كان استقلالها الذاتي الداخلي في خطر الزوال. لقد أضعفت هجرة المقاتلين الأرمن البلاد وكانت لها عواقبها السيئة جداً على البلاد وقدر مملكة البقراطونيين.

(149) الكابافونيون هم السكان الكنعانيون لمدينة كابافون الفلسطينية الذين جاؤوا إلى اليهود وعقدوا مع زعيمهم يشوع اتفاقاً. لكن، عندما أيقن الزعيم كذبهم، حولهم إلى سقائين وحطّابين.

(150) استلم يسايي يغيباتروشييتسي منصب الكاثوليكوسية في الأعوام 775-788م.

(151) يعتقد المؤرخ الأرمني ن.أكينيان أن عنوان الكتاب الأصلي لغيفوند هو "الراهب غيفوند وكونولوجية سلالة طوركوم" وكانت العادة في تلك القرون وضع العنوان في نهاية الكتاب.

انتهت الشروحات بعدما تم انهاء الكتاب بالتام والكمال

المصدر:

كتاب "تاريخ غيفوند"، المؤرخ الأرمني من القرن 8 ميلادي

“تاريخ غيفوند”، المؤرخ الأرمني

من القرن 8 ميلادي

الموافق سنة 81 - 182 هجري

ترجمه عن الأرمنية: الدكتور ألكسندر كشيبيان

.....

تعديل وتحميل ونشر

الاستاذ: شمس المحسن (ابو شمس المحسن)

صاحب قناة الحقيقة على اليوتيوب

ومؤسس

منتديات استفق

في تحفيز الازهان لنقد الاديان

ՀԱՅ
ՄԱՏ
ՆԱԳԻՐ
ՆԵՐ

ՂԵՎՈՆԴ

ՊԱՏՄՈՒԹՅՈՒՆ

Թարգմանությունը, ներածությունը
և ծանոթագրությունները
Արամ Տեր-Պետրոսյանի

